# الموت يريد أن أقبل اعتذاره

قصص قصيرة

نهلة كرم

دار العين للنشر

# الموت يريد أن أقبل اعتذاره

# الموت يريد أن أقبل اعتذاره

قصص قصيرة

نهلة كرم

الطبعة الأولى / ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م

حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر

٤ ممر بهار - قصر النيل - القاهرة

تليفون: ٢٣٩٢٢٤٧٥ ، فاكس: ٢٣٩٦٢٤٧٦

E-mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار

أ.د. أحمد شوقي

أ. خالد فهمي

أ.د. فتح الله الشيخ

أ.د. فيصل يونس

أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي

المدير العام

د. فاطمة البودي

الغلاف: غادة خليفة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٦/٢٠٦٧٢

I.S.B.N 978 - 977 - 490 - 406 - 6

# الموت يريد أن أقبل اعتذاره

قصص قصيرة

نهلة كرم

دار العين للنشر

دار العين للنشر

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كرم، نهلة.

الموت يريد أن أقبل اعتذاره: قصص قصيرة/ نهلة كرم.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١٧

ص؛ سم.

تدمك: ٦ ٤٠٦ ٤٩٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان

٨١٣,٠١

رقم الإيداع/ ٢٠١٦/٢٠٦٧٢

# المحتويات


- نجوم في سقف الحجرة ..... 7
- دولاب معتم ..... 13
- قبل نهاية العالم ..... 17
- سماء لا تجيب أحدًا ..... 31
- الشرفة الأخرى ..... 37
- ثرثرة ..... 47
- قبلة أخيرة ..... 53
- ليل ببذلة محقق ..... 59
- عصفور الفراق ..... 63
- مملكة البُكم ..... 73
- شجرة ليمون ..... 81
- ابتسامة معلقة بالشفاه ..... 89
- عدة سنتيمترات فحسب ..... 95
- الموت يريد أن أقبل اعتذاره ..... 101
- مج مبتور اليد ..... 113
- شروخ في حائط المنزل ..... 119

- نشرة أخبار ..... 125
- خيوط صغيرة ..... 127
- الموت في الخارج فقط! ..... 131

# نجوم في سقف الحجرة

كل ليلة قبل النوم أتمدد أسفل النجوم التي لصقتها في سقف حجرتي، أتأملها طويلًا حتى تلقي لي بحبال أتسلقها إلى أحلامي، ذات يوم قابلت في الأعلى ثلاثة آلهة في شوارع مختلفة من الحلم، سألوني جميعًا عن الأمنية التي أريدها، لكني لم أصدق أنهم سيحققونها، فطلبت منهم نفس الأمنية، لربما يحققها أحدهم، لكني فوجئت في اليوم التالي حين رفعتني النجوم، أن الثلاثة نفذوا رغبتي وصار لي ثلاثة أحبة، قابلني أحدهم داخل بيت جدتي في شبرا، ثم قابلني الآخر في فرانكفورت قبل أن يعود بي الثالث إلى أحد المطاعم في المهندسين، خشيت أن يتقابل الثلاثة في مكان

واحد ويفتضح أمري، فرفضت الصعود مع النجوم عدة أيام، حتى رسم الليل خطوطًا أسفل عيني، ونزل مندوب من الأعلى يحذرني إن لم أصعد إليهم سينزلون لي، تخيلت هذا الذي يحب الأكل بنهم، وخشيت ألا يتحمل سقف الغرفة وزنه، صعدت معه لكني ظللت مختبئة في مدخل أحد البيوت، عبرت امرأة وأخبرتني أنه لا يمكنني الوقوف هكذا بدون فعل شيء في الأحلام، لأنه لا توجد لديهم عطلات هناك، سرت قليلًا ولم أعثر على أحد، فكرت أن أبحث عن الآلهة وألغي رغبتين وأبقي على حبيب واحد، لكني حين سألت عنهم، عرفت أنهم غادروا الأحلام وأخذوا معهم الأمنيات كلها.

في يوم آخر قررت أن أتسلق الحبل لأتمشى فى الأعلى دون غرض، لا آلهة.. لا أمنيات كبرى.. سرت قليلًا حتى توقفت أمام امرأة تصنع الحبال، شعرت بيد أحدهم تلمسني من الخلف، لم ألتفت لأنه فعلها بحركة سريعة ثم سار أمامي بهدوء وهو يبتسم، صرخت في مكاني دون أن أستطيع الحركة، قلت وأنا أشير إليه في مشيته المتهادية "هذا الرجل" اختنقت باقي الجملة في حلقي رغم محاولتي قولها عدة مرات.

صرخت في الجميع حتى يوقفونه، لكن لم يتوقف أحد من أجلي، قالت سيدة الحبال دون أن تنظر لي "هذا الرجل غريب، ليس من هنا، لو كان من الأحلام لتوقفنا من أجلك، لكنه من عندكم، تتبعك

من عالمك، ولا يمكننا فعل شيء معه، إذا أردتِ معاقبته، الحقي به في عالمكم".

بـدأ الرجل في الركض فجـأة، ركضت خلفه وقبل أن ألحق به كان قد وصل عند رجل آخر يمسك بحبال يربط بها من يقف أمامه ويدليه داخل حفرة، أسرعت خطاي لكني حين وصلت عنده كانت الحفـرة قد ابتلعت الآخر، طلبت منه أن يدليني بحبل خلفه بأقصى سـرعة، لكنه أخبرني أن كل حبل يؤدي إلى نجمة مختلفة، ظللت أبكي حتى ربطني بحبل وقذفني، لكني سـقطت فوق الفراش دون أن أجـد الرجل، كانت والدتي تجلس بجواري بدلًا منه وتحتضنني وهي تسـألني عن الذي كنت أسبه في حلمي، حكيت لها عن سائق "التـوك توك" الذي تبعني حتى في أحلامـي، هذا الذي لم يهرب بـ"التـوك توك" كمـا هرب ذلك اليوم، بعد أن أمسـكني من نفس المكان بالقرب من شـارعنا، لكنه هـرب عبر الأحبال التي تدليها النجوم ويقف عليها الرجل حارسًا.

أخرجتنـي أمـي من حضنها حينهـا وقالت لي "اسـتيقظي"، "اسـتيقظي".. "استيقظي"، أقسـمت لها عدة مرات أنني مستيقظة لكنهـا لم تصدق، خرجت فحاولت إكمال نومي، لكني ظللت ممددة في الفراش بعين مفتوحة، أتأمل نجوم غرفتي وأتسـاءل "أية نجمة يختبيء بها؟".

من بعدها لم أعد أحب الصعود كثيرًا، كنت أكتفي بتسلق الحبال حتى منتصفها، ثم أعود قبل أن تكمل رحلتي ساعتين، ذات مرة وأنا في طريقي للنوم، سحبني أحدهم مرة أخرى، حاولت مقاومة عبور النجمة المفتوحة، لكني وجدت نفسي بالأعلى، أخبرني رجل الحبال الذي رفعني، بأن هناك من استدعاني، وأشار إلى سيدة بدينة تقف إلى جواره، قالت لي المرأة "علمت أنكِ لم تأتِ الحلم منذ مدة طويلة، وأنا أحتاج إلى فتاة للعمل".. "لكني لا أريد العمل".. "أنتِ العاطلة الوحيدة، ليس أمامي غيرك.. جميع الفتيات الأخريات مشغولات في الحلم"، أخذتني من يدي إلى محل في ميونخ، ألبستني فستانًا قصيرًا أعجبني، لكنه لم يروقها، قالت "لا توجد موديل لديها بطن كبير مثلك، لكني ليس أمامي خيار آخر، عليكِ أن تركضي في الشوارع، وأن تكثري من تسلق الحبال حتى تختفي بطنك، ثم تأتيني بعدها".

فرحت بوظيفتي الجديدة التي لم أكن لأحلم بها، خرجت من المحل أركض في كل مكان، حتى أنني لم أنتبه لإحدى الحفر، فوقعت بها ووجدتني على الأرض بجوار الفراش، وقفت وأكملت ركضًا في الشقة كلها وأنا أصرخ بصوت عالٍ "أخيرًا حصلت على وظيفة". خرجت والدتي من المطبخ لتسألني عن الشركة التي طلبتني لأعمل معها، فأخبرتها أنها ليس وظيفة عادية ولكنها وظيفة من الأحلام، زادت السعادة على وجهها وسألتني عن وظيفتي التي

لا يحلم بها أحـدٌ، فأخبرتها بالأمـر دون أن أتوقف عن القفز في مكاني، لكنها صمتت ولم تظهر لي أي حماس، رددت في نفسـي أن جميعهم لا يقتنعون بالأشـياء الغريبة حتى تفعلها مغامرةٌ مثلي ثم تصير عادية بمرور الوقت ويفعلها الجميع، فكرت أنني سـأحل مشكلة البطالة إذا انتشرت فكرتي، فرحت بكوني أول المغامرين، وحتى لا أضيع وقتًا، تمددت فوق فراشي في انتظار الحبال، كنت متحمسـة كثيرًا للصعود والهبوط بأقصى سـرعة، حتى لا تفسد بطني شـكل فساتين السـيدة، لكني انتظرت الحبال طويلًا دون أن يتدلى أي حبل.

فتحت عيني لأطمئن على وجود النجوم في مكانها، لكني رأيت أمي بالقرب من السقف، غضبت وفكرت أنها تحاول أن تأخذ الوظيفة قبلي، لكني حين دققت وجدتها تقف على سلم ولا تتسلق أية حبال تنقص وزنها رغم أنها أضعاف وزني، فكرت أن أخبرها أن تسلق السلالم لا ينقص الوزن مثلما يفعل تسلق الحبال، لكنها كانت قد بدأت في النزول وفي يدها شيء يشبه نجومي.

فتحت عينيَّ على اتساعهما متأملة السقف، كانت النجوم قد اختفت بعد أن أزالتها والدتي، لم يتبق من آثارها سوى خيط كان يلصقها بالسقف، الخيط الذي كان يحملني لأعلى صار قصيرًا جدًا، ولم تعد هناك نجوم تمده بخيوط أخرى من أعلى حتى يصل

إليّ، قمت غاضبة من الفراش لألحق بها، طلبت منها أن تعيد لي نجومي، لكنها لم تلتفت لي، بل ظلت واقفة تنظر للطعام الذي تُعده، صرخت بها وأعدت طلبي، فقالت بهدوء "لست مستعدة أن تُفقدين عقلك بسبب نجوم"، كنت غاضبة جدًا لكني مع ذلك لم أستطع فعل شيء، دخلت غرفتي، أقفلت بابها خلفي، وتمددت فوق الفراش، أتأمل سقفها القبيح بعد أن صار عاريًا من النجوم، وواسعًا ومخيفًا، لا يمكن العبور منه إلى أي مكان، بللت دموعي المخدة، وأنا أتساءل عما كان سيحدث لو انتظرت أمي قليلًا حتى أحصل على وظيفة، أو أعثر على سائق "التوك توك" داخل إحدى النجمات لأنتقم منه ذات يوم.

# دولاب معتم

فتحت الفتاة دولابها ووقفت تنظر لملابسها قليلًا، قبل أن يرن هاتفها ذهبت لتحضره من خارج الغرفة، دون أن تسمع الأصوات المتهامسة التي كانت تتصارع خلفها، صرخ المعطف "هذا يومي.. لم أر الشارع منذ فترة طويلة جدًا".

قاطعه الجاكيت "كلانا أبيض فلمـــاذا ترتديك وتتركني"، قالت "الجيبة" القصيرة في حســرة "أناسب كليكما.. ومستعدة أن أخرج مع أي منكمـــا، لكنها لم تعد ترتديني كثيرًا.. تقول إنني أصلح فقط فـــي بعض الأماكن "النظيفة"، ويبدو أنها لم تعد تذهب إلا إلى هذه

الأماكن التي ترفضني.. فلماذا لا ترتديني ثم تغسلني حين أتسخ".

أجابها السروال "تفضلني عنكِ، لأنكِ تتسببين في أن يمسها بعض الرجال بأيديهم المتسخة كلما ارتدتك.. أما أنا فأحميها منهم". استفزها رد السروال فقالت له "لكنك تتسخ أيضًا.. فلماذا لا تغسلني مثلما تغسلك؟" نطق الـ"جاكيت" ليفصل بينهما "ربما بقع تلك الأيدي لا تنظف بسهولة، مثل البقع الأخرى!".

"على الأقل جميعكم ترون الشارع حتى ولو على فترات متباعدة، أما أنا فلم أعد أغادر هذا الدولاب منذ أن ضل مسمار أحمق طريقه بداخل أحد أكمامي، ولم يخرج قبل أن يصنع ثقبًا بها" قال "البلوفر" في ضيق.

عزَّاه سروالٌ آخرُ "يمكن إصلاح ثقبك بسهولة، أو إخفاؤه أسفل جاكيت أو معطف، أما أنا فحالي أصعب بكثير، فرغم أنه ليس بي أي ثقب أو قطع، لكن لا يمكنني رؤية الشارع مرة أخرى.. صرخت بها كثيرًا وهي ترتديني بأن تتوقف عن تناول هذا الطعام في تلك المطاعم، لكنها لم تتوقف، حتى جاءت لترتديني ذات يوم، ولم أستطع الصعود إلى أعلى كما أفعل دومًا، كان خصرها أكبر من فتحتي، ورغم ذلك اتهمتني بأني صرت ضيقًا، أقسم أنني لم أضق ولم أتغير منذ أن صنعوني، لكن خصرها هو الذي صار أكبر". ضحكوا جميعًا عدا الطقم الرياضي، الوحيد الذي شعر

بآلام السروال من بينهم، قال له: "أضمن لك أنها سترتديك مرة أخرى، إذا عادت لترتديني، المشكلة هي أنني لا أعرف متى تعود لارتدائي!".

"جميعكم تتذمرون رغم أنكم خرجتم كثيرًا، أما أنا فلم أذهب إلى الخارج، ولو مرة واحدة منذ أن جئت إلى هنا، كانت سعيدةً وهي تقيسني في بروفة المحل، أخبرت صديقتها بأنها ستشتريني حتى ترتديني حين تخرج في سهرة معه، لكني لم أرَ الشارع مرة واحدة بعدها ولم أرَ حتى هذا الذي اشترتني من أجله، أتت بي من فوق المانيكان التي أحببتها، والتي طالما تندرت معها على السائرين أمام زجاج المحل طوال اليوم، لتلقي بي هنا داخل هذا الدولاب المعتم!" قال الفستان الأحمر.

جاءت الفتاة فصمتوا جميعًا، أخذت من بين الملابس معطفًا أسود، ثم أغلقت الدولاب على أصوات غاضبة من عدم عدلها بينهم، لأنها ارتدت هذا المعطف أكثر من مرة فيما سبق، ومنذ أن بدأت في ارتدائه تلك المرة، لم تعد تلبس غيره.

وحده المعطف الذي لم ينطق بكلمة طوال الحديث السابق، كان يعرف لماذا صارت الفتاة ترتديه في الآونة الأخيرة، لكنه لم يخبرهم حتى يظل متباهيًا أمامهم بتفضيلها له عليهم، سيحتفظ بالحقيقة التي يعرفها حتى بعد أن تتوقف عن ارتدائه، وتعود مرة أخرى لارتداء

باقي الثياب، أبدًا لن يقول لهم إن ألوانهم لا تصلح الآن لحزن بحجم الموت، ولن يبشر "السروال" الذي ضاق بأنها سوف تعود لارتدائه بعد أن صغر خصرها مرة أخرى، منذ أن فقدت شهيتها، كما لن يخبر الفستان الأحمر أنه لن يرى هذا الشخص الذي جاء من أجله.. أبدًا.

# قبل نهاية العالم

اجتمعت الأسرة أمام التلفاز في ذلك اليوم، بعد أن رفض الأب خروجهم إلى أي مكان قائلًا "ينتهي العالم ونحن معًا تحت سقف بيتنا". بدأ المذيع حديثه "كما وعدناكم سنكون معكم حتى نهاية العالم، لن نتزحزح عن مكاننا أنا وزميلتي، حتى نواليكم بالأخبار أولًا بأول".

تساءل الابن الأكبر إن كانا سينقلان الأخبار بصدق، أجاب الأب بثقة: "ولماذا يكذب أي شخص في يوم كهذا! إنها نهاية العالم". تساءل الابن الأصغر الذي لم يتعدَّ الثماني سنوات بعد "كيف تكون تلك النهاية؟". صمت الجميع ولم يجبه أحد، أخفت الأم دموعها

وقامت من مكانها متحجة بأنها ستحضر الطعام.

لم يعرف الطفل لماذا لم يجبه أحدٌ، فصار يتخيل نهاية العالم كما سمع الناس من حوله في الأيام الأخيرة "ستنطبق السماء على الأرض.. كل شخص سيكون مسئولًا عن نفسه.. سيعاقب الله الأشرار البالغين". فكر أن البالغين كما أخبروه هم من تعلموا الصلاة، وهو لم يبدأ بعد، لذلك لن يعاقبه الله، وربما ينتهي العالم عليه بشكل مختلف، ربما تنبت الأرض شجرة تصل حد السماء مثلما رأى في أحد أفلام الكرتون، تكون للصغار مثله فحسب، وربما لحيوانات الصغار أيضًا، فلا يمكنه ترك قطه الصغير، سيأخذه معه إلى هناك، فكر أن الصغار يمكنهم تسلق هذه الشجرة، بدون أن يتعرضوا للأذى الذي ينتظره البالغون.

نظر حينها حوله، تفرس وجه أبيه البالغ وتمنى لو كان أصغر حتى يتسلق الشجرة معه، ولا تقع السماء فوقه، لكنه عاود التفكير في أن أباه ليس شريرًا، وربما لن تهرسه السماء أسفلها، وفكر أن والدته ستفلت من الأمر أيضًا، لأن الجنة تحت أقدام الأمهات، وطمأن نفسه وتخيلها وهي تجلس وتدلدل ساقيها فوق الجنة، انتهى بصره عند أخيه وتمنى لو لم يكن بدأ في الصلاة التى لم ينتظم فيها، حتى يذهب معه إلى تلك الشجرة التي زرعها في خياله، تساءل عن الذي يمكن أن يحدث لأخيه الذي يكذب دومًا، ويهرب من المدرسة

مع أصدقائه! ثم نظر إلى أخته التي كانت ممسكة بهاتفها في تململ، وتمنى لو كان لديها أطفال حتى تنجو، وحزن لأجلها لأنها ليست أمًا، ولن تكون هناك جنةٌ أسفل قدميها.

أخرجه من أفكاره رجلٌ بدا شكله غريبًا بالنسبة إليه، بشعره الطويل وذقنه التي تبدو وكأنه لم يحلقها منذ سنوات، كان يجلس مع المذيع والمذيعة ويقول بأنه تنبأ بالأمر قبل حدوث البركان، وبدأ يحكي عن حياته كمتنبئ وعالم فلك، وكيف أنه يعرف الكثير من الأمور قبل حدوثها. كاد الأب أن يتساءل إن كان هذا الرجل صادقًا حقًا، لكنه تراجع بعد أن فكر أن العالم كله يصدقه، بعد أن تنبأ بالعديد من الكوارث وحدثت جميعها بصورة متتالية في المكان والزمان الذي حدده، فكيف يُكذبه هو بعد أن صدقه الجميع!

تمنت الفتاة وهي تستمع إليه لو كانت قابلت هذا المتنبئ منذ عام، حتى يخبرها بمصير علاقتها بحبيبها، وإن كانا سيتزوجان أم لا، لكنها تراجعت عن هذه الأمنية بعد أن فكرت أنها لم تكن لترغب في معرفة إن نهاية العالم ستأتي دون أن يحدث هذا الأمر.

أنهى المذيع الفقرة بشكر المتنبئ على قبوله اللقاء معهما رغم وقته الثمين، فغادر الاستوديو قبل أن تعلن المذيعة الخبر التالي: "وقد قرر الملك منذ قليل أن يتبرع بكل أمواله لأبناء شعبه، حتى يحققوا آخر أحلامهم". ركضت الأم من المطبخ بسرعة بمجرد

سماعها هذا الخبر، قالت للأب "دعنا ننزل إلى الشارع، ربما يقتدي به رئيسنا، ويأمرهم بتوزيع الأموال بالطائرات". صاح الابن الأكبر "دعنا نخرج يا أبي، لعلنا نحصل على بعض تلك الأموال ونفعل ما نشاء قبل أن...". توقف الابن ولم يستطع إكمال جملته، قالت الفتاة في حماس "نعم يا أبي، اتركنا نذهب، ونأخذ أموالًا كثيرة، نعيش بها حياة أفضل ولو ليوم واحد فحسب، ونقابل آخرين نستمتع معهم". توقفت الفتاة عند جملتها الأخيرة، بعد أن كادت تخطئ، وتقول إنها تود أن تعيش هذا اليوم مع حبيبها، الذي تحاول الاتصال به منذ الصباح، لكن لم تكن هناك شبكة اتصالات تمكنها من ذلك.

تحمس الطفل لكلامهم أيضًا، بعد أن تخيل الطائرات وهي تقذف بأموال أكثر بكثير من مصروفه، تمكنه من شراء كل الحلوى التي أحبها ولم يشترها، لأن الأموال التي يعطيها له والده لا تكفي، فكر أن يأخذها معه في رحلته فوق الشجرة، بدأ في أخذ دوره في الحديث وطلب من والده أن ينزلوا إلى الشوارع، لكن الأب زعق في تلك اللحظة بعنف قائلًا: "قلت لكم سنظل تحت سقف البيت، سنبقى هنا حتى النهاية مهما حدث".

ساد الصمت والإحباط على الوجوه، دون أن يتزحزح الخوف عن وجه الأب "هذا وقد أعلنت القوات المعتدية انسحابها من الأراضي التي احتلتها، وطالبت الشعب بقبول السلام لليلة أخيرة، سحقًا

للكراهية بين الإنسانية، كما جاء في بيان القائد الأعلى للجيش". قالت المذيعة، فذهل الأب معلقًا "ليت نهاية العالم قد جاءت منذ سنوات!". قالت الأم "ربما فكروا أن يوفروا الصواريخ والأسلحة والمجهود، طالما أن نهاية العالم ستتكفل بأعدائهم". علق الابن "لو أن هناك وقتًا متبقيًا، لكانوا غيروا منهج التاريخ قبل الامتحانات، ليتناسب مع الأحداث الجديدة". تمنت الفتاة لو تكون مع حبيبها في تلك اللحظة التي يتحقق فيها حلمه بسيادة السلام في العالم، بينما تساءل الطفل إن كان عليه أن يصالح صديقه في المدرسة، بعد أن أوقعه أثناء اللعب، وتسبب في إصابة ركبته.

"كما قرر المليارديرز... توزيع الطعام والملابس على الفقراء والمشردين"، توقفت المذيعة لحظات قبل أن تكمل الخبر "لكنه لم يجد من يقبل ما يوزعه". علت الدهشة وجوه الجميع منتظرين إكمال الخبر، كانت هناك مداخلة من أحد الفقراء على الهاتف، وأعلن نيابة عن باقي المشردين والجوعى أن بطونهم قد تعودت على الجوع، وأنهم كانوا يجهزونها منذ زمن بعيد لهذا اليوم، حيث يذهبون إلى الجنة ويشبعون من كل ما فيها "لن يسمح أحد منا للأغنياء بأن يفسد علينا آخرتنا فى هذا اليوم بأمواله، كانت لهم الحياة، ولن يستطيعوا شراء الآخرة على حسابنا".

ضحك الأب للمرة الأولى معلقًا: "هذا أحسن خبر سمعته منذ

سنوات بعيدة". وجدت الأم فرصتها للتلقيح بالكلام على زوجها "أغبياء.. ينتظرون شيئًا لا يضمنونه، كان من الأفضل لهم أن يستمتعوا ولو ليوم واحد في حياتهم". نظر لها الزوج بغضب فصمتت، بينما علق الابن الأكبر بأن أحد أصدقائه في المدرسة، ادعى أن هذا الملياردير قريب له، وكان يحكي لهم قصصًا عن ثرائه الفاحش وحبه للطعام "يقول إن لديه سبعة قصور واسعة، في كل منها طابق بأكمله للمطبخ"، فكرت الفتاة لو أن هذا الملياردير تبرع بربع قصر من قصوره لهم قبل النهاية، لكانت تزوجت حبيبها ولو لأيام قليلة، ثم جاءتها خاطرةٌ أن هذا الفقير تمكن من التوصل إلى البرنامج بمكالمة هاتفية، وتساءلت عن سبب انقطاع الشبكة لديهم، ووجودها في أماكن أخرى من العالم، بينما فكر الطفل "كيف يمكن لهذا الرجل أن ينهي كل الطعام الذي لديه قبل النهاية، إذا لم يقبله الفقراء!".

رغم أن المذيعين كان بإمكانهما تغيير الفقرات كما يرغبان، بعد أن بقيا وحيدين طواعية في مكانهما يذيعان أخبار العالم قبل نهايته بيوم، إلا أنهما لم يغيرا أية فقرات، وحرصا على إذاعة الفقرة الفنية كما هي، كانت تلك الفقرة من أكثر الفقرات إمتاعًا بالنسبة للأسرة، حتى أن الأم أطفأت النيران على الطعام، حتى لا يحترق، وجلست لتستمع إليها.

كان الخبـــر الأول عن بدء الحفلة التذكريـــة، التي أقامها أغنى ممثـــل في العالم وزوجته، بعد أيـــام مضنية من الإعداد لها، حيث أعلن الممثلان إقامتها، بعد إذاعة خبر نهاية العالم مباشـــرة، وجاء فـــي الخبر الذي تداولته الصحف والقنوات قبل أن تغلق، أن الحفلة تمتد من قصرهم في أحد المدن، إلى قصرهم الآخر في مدينة ثانية، واشـــترط الممثلان على ضيوفهم الحضور بملابس تنكرية، تعبر عن تخيلهم لهيئتهم في العالم الآخر.

أخذ المذيع خيط الكلام من زميلته، مكملًا الخبر بوصف ديكور الحفلة، الذي حرص فيه الزوجان على جلب أشهر مهندسي الديكور في العالم لتصميمه، فصنعوا جزءًا خاصًا بأهل الجنة لا يصله إلا الممثلون، الذين يتجاوزون العديد من الاختبارات الصعبة طوال اليوم، كما صمموا جزءًا خاصًا بالجحيم، وهو عبارة عن متاهات لا أول لها ولا آخر، يدخل فيها من يفشل في الاختبارات، ويقضي اليوم محاولًا الخروج منها إذا استطاع.

بدأت المذيعة تتلقى الاتصـــالات حول هذا الخبر، قالت إحدى الممثلات الشـــهيرات إنها ترفض حضور تلـــك الحفلة، لأن نهاية العالم يجب أن تُحترم أكثـــر من ذلك، بينما اتصل ممثلٌ آخرٌ قائلًا إنه لم يكن ذاهبًا، لكنه غير رأيه بعد أن شـــعر أن اليوم الذي يسبق نهاية العالم، يبدو مملًا للغاية منذ بدايته، فقرر أن يســـتقل طائرته الخاصة، ويسافر لحضور تلك الحفلة.

بدأ المذيعان يعددان أسماء الحضور، حتى وصلا إلى اسم الممثلة التي يحبها الابن الأكبر، فصرخ "ليتنا نمتلك طائرة خاصة، حتى أذهب لرؤيتها.. كم أعشقها". نظر الأب له في غضب، فتذكر الابن أن نهاية العالم، لا تسمح له بقول مثل هذا الكلام أمام والديه، فنظر في الأرض واستطرد "أود رؤيتها هي والممثل".. "والممثل الآخر". قالت الأم "هؤلاء الممثلون المرفهون لا يفوتون فرصة للتسلية والمتعة أبدًا، حتى في نهاية العالم!"، شعرت الفتاة بالغضب بعد أن فكرت أنها لا تعلم عن حبيبها شيئًا، وأنه يمكن أن يفكر مثل أخيها ويذهب لهذه الحفلة، ويقابل الممثلات اللاتي يحبهن وينساها، تمنت لو يتركها أبوها في تلك اللحظة، حتى تذهب وتبحث عنه في الأماكن التي اعتاد الجلوس بها، نظرت إلى والدها في حنق، ثم نظرت إلى هاتفها الذي صار بلا فائدة، ولم تجد ما تفعله. علق الطفل "أود الذهاب إلى هناك أيضًا، ربما بدأوا في توزيع طائرات مجانية.."، قال الأب في غضب "ماذا قلت لكم؟؟"، صمت الطفل متسائلًا عن الذي يخشاه والده في الحفلة: "إذا لم يكن فعل شيئًا شريرًا لما خاف المتاهة أبدًا؟" فكر.

في الفقرة الرياضية نقل المذيعان أجواء المباراة، التي بدأت منذ فجر هذا اليوم، والتي كانت كبرى النوادي في البلاد قد أعلنت عنها قبل أسابيع، وسموها كأس نهاية العالم، "حيث تشارك فيها كل

دول العالم، وفقًا لوقت محدد، ومقسم بين البلدان على مدار اليوم"، قالت المذيعة.

ابتسمت الفتاة حين سمعت هذا الخبر، بعد أن تذكرت أن حبيبها لا يفوت مباراة كرة قدم، فكرت أن انشـــغاله بالمباراة عنها أفضل مائة مرة من انشـــغاله بالممثـــلات العالميات اللاتي لا تســـتطيع منافســـتهن. عبر الأب عن اندهاشـــه من قدرة هؤلاء على اللعب فـــي يوم كهذا، فقال الابن معاتبًا "اللعب يقلل التوتر كما كنت تقول دومًا يا أبي". لم يجرؤ الأب على النظر إلى عين ابنه، ولم يرغب الابن في طلب السفر لمشاهدة المباراة مرة أخرى، بعد أن يئس من الرفض المتكرر.

"الدولـــة التي تفوز تحصل على الـــكأس، وتصبح بذلك الدولة الحاصلة على اللقب للأبد" علق المذيع، فضحك الأب والأم، وزاد حماس الابـــن الأكبر لمتابعة نتيجة المباراة، وقلب بين قنوات كرة القدم ليشـــاهدها مباشرة، لكن باقي القنوات لم تكن تعمل، فتمنى أن يفوز فريق بلده باللقب، بينما تخيل الطفل أحد اللاعبين وهو يمسك بالكأس، وبدلًا من أن ينظر لعدســـة الكاميرا لالتقاط صورة، ينظر إلى السماء التي تبدأ في الوقوع.

كانت نشرة الأحوال الجوية أكثر الأخبار عادية بما يثير القلق، فقد انتظرها الأب ليعرف إن كانت الشمس بدأت في الاقتراب من

الأرض، أو ذاب الجليد في القطب الشمالي بداية لإغراق العالم، أو أي شيء مختلف ينذر بوقوع الكارثة، لكن لم يقل المذيعان أي خبر غريب، فالأحوال الجوية كانت عادية. قال الأب: "غريب جدًا، كنت أتوقع أن تسوء الأحوال الجوية اليوم". علقت الأم "وكأننا في عيد الربيع!". قال الابن الأكبر "ربما يحدث الأمر بشكل مفاجئ لا نتوقعه". فكرت الفتاة أن هذا الطقس كان ملائمًا لارتداء ثياب جميلة والخروج مع حبيبها، بدلًا من الجلوس هكذا بملابس المنزل، تخيل الطفل سقوط النجوم بشكل مفاجئ، لكنه فكر أنها ربما تمطر كل السحب أولًا، وهكذا توصل لإجابة سؤاله، وتخيل أن النهاية حتمًا ستكون بأمطار غزيرة، تتخلص فيها السماء من كل السحب التي تثقلها وتثبتها بالأعلى، ثم تسقط بعدها.

انقطعت النشرة وبدأ القط يموء بشدة، فقالوا جميعًا إنها نهاية العالم، فتح الأب ذراعيه، وطلب من الجميع أن يجلسوا في حضنه، بكوا في انتظار أن ينهار كل شيء فوقهم، بدأ الابن الأكبر يقبل يد والده ووالدته، دون أن يقول أي شيء، أمسك الطفل بقطه الصغير وبدأ يبكي، بعد أن رأى دموع والده للمرة الأولى، وشعر بخوف أكثر من أية لحظة في حياته، بعد أن فكر أن مصيره لن يختلف عن مصيرهم، حتى وإن لم يبدأ الصلاة، لأن الشجرة لم تنبت كما تخيلها، أو ربما نبتت في الخارج وتسلقها الأطفال، بينما هو ممنوع من الخروج من البيت! بينما بدأت الفتاة تبكي وهي لا تعرف إن

كانت سترى حبيبها في العالم الآخر، أم أنه قد فعل ذنبًا في هذا اليوم يدخله النار فلا تقابله!

ظل الجميع على هذا الوضع نحو نصف ساعة، دون أن يحدث أي شيء. قال الأب: "ربما الأمر مجرد عطل في الإذاعة.. ولم يحدث شيء بعد؟". فعلقت الأم "وربما بدأ في الحدوث في أماكن أخرى، ولم يصل إلينا فحسب؟". قال الطفل الصغير"هل يمكن أن تقع نصف السماء، تاركة نصفها الآخر في الأعلى؟". صمت الجميع ولم يجدوا إجابة.

مرت ساعات رفض الأب خلالها، أن يغادر أحدٌ مكانه حتى ولو كان سيطل من الشرفة، خاف أن ينظر أحدهم إلى الخارج ويرى أمرًا مروعًا، لا يجرؤ حتى على تخيله.

ســـاد الصمت قبل أن يقطعه صوت التلفاز مرة أخرى، انتفض الجميع بســـبب الرجوع الفجائي للإرسال، كان هناك مذيع ومذيعة آخران غير اللذين كانا موجودين.

قال المذيع: "نبشـــركم بأن نهاية العالم كانت خبرًا كاذبًا، وبأنه تـــم القبض على المتنبئ الذي روج لـــه". قفز الأولاد من الفرحة، وزغردت الأم، فبدأت الزغاريد تتوالى من الشـــقق المجاورة، قام الأب مـــن مكانه ليطل من الشـــرفة، ويتأكد من صحة الخبر، وجد الحي كما هو، ولم يحدث له شيء مروع كما تخيل.

نظر إلى السماء وابتسم وهو يتنفس الهواء، شعر لأول مرة في حياته، بقيمة أن تبقى السماء في الأعلى، كاد أن يبقى على هذا الحال طوال الليل، لولا أن صوت التلفاز قد قاده مرة أخرى إلى الصالة: "هذا وقد ألقي القبض على المذيعين، بعد ترويجهما أخبارًا كاذبة حول نهاية العالم".. "لم يقم الملك بتوزيع ثروته كما أشيع، بل إن بعضًا من أفراد الشعب قاموا بسرقة الأموال، وتناشدهم الشرطة بإعادتها للحصول على العفو الملكي".. "كما أعلنت القوات عدم انسحابها من الأراضي المحتلة، وذكرت في بيان جديد لها، أن البيان الأول كان مختصًا بوقف إطلاق النار لعدة ساعات فحسب"، "هذا وقد نفى الفقراء والمشردون رفضهم لعرض المليارديرز، وقالوا إن قلة ليست منهم، كانت ترغب في لفت الانتباه فحسب...".

قلب الأب بين باقي القنوات حينها فوجد الإرسال قد عاد إليها، أمسكت الفتاة بهاتفها وبدأت في تجربة الاتصال، وكادت أن تقفز من السعادة حين سمعت صوت الجرس، فتح الابن الأكبر هاتفه وبدأ ينقل لهم الأخبار "أون لاين" بعد أن عاد الإنترنت مرة أخرى، ثم طلب من والده أن يقلب على إحدى القنوات الرياضية، لأن هناك خبرًا على أحد المواقع يقول إن هذه القناة تنقل كأس نهاية العالم.

حين قلب الرجل وجد المباراة، قامت الأم لتحضر الطعام، فطلب الأب من ابنه أن يذهب، ليجلب بعض التسالي من أجل مشاهدة المباراة، استغلت الفتاة انشغال الجميع، ودخلت حجرتها لتجري

مكالمة، تعرف فيها ماذا كان يفعل حبيبها طوال هذا اليوم! بينما أحضر الطفل أكلًا وأطعم القط، حتى توقف عن المواء، ثم جلس بجوار الشرفة ليراقب المارة، وهم يتجولون في الشارع، دون أن تنبت شجرة من وسطهم، أو تسقط السماء فوق رؤوسهم.

# سماء لا تجيب أحدًا

"كمـــا تحبين". تجيبني أمي عندما أســألها متى ســأخلع اللون الأســـود؟ تر هقني إجابتها جدًا، أتمنى لو قالـــت إن الوقت ما زال مبكرًا على خلعه، ليكون بإمكاني أن أنفخ وأدبدب بقدميَّ وأعلن أن الحزن ليس بارتداء الأسود وأنني صغيرة على لبسه كل تلك الأيام، لكنهـــا قالت "كمـــا تحبين" فجعلتني كبيرة إلى حد ارتداء الأســـود لسنوات.

حين حشرت الأم طفلتها بيننا، ابتسمتُ، كانت والدتي تحشرني دائمًا في المنتصف بينها وبين الجالس بجوار النافذة في المقعد العريض للباص، تذكرت نفسي وأشفقت على تلك الفتاة لأن والدتها

لم تشترِ لها "شيبسي" يلهيها طوال الطريق الممل كما كانت تفعل أمي.

سألت الطفلة "هل أبي هناك؟" وهي تشير إلى السماء، هزت والدتها رأسها إيجابًا، توالت أسئلتها "لماذا يموت الناس؟ هل أبي يرانا من أعلى؟ ماذا بعد الموت؟"، كانت أمها تجيبها على كل أسئلتها، حقدتُ عليها حينها، لأن بإمكانها أن تسأل مثل تلك الأسئلة وتجيبها والدتها، بينما أنا لا يمكنني أن أسأل أمي لأني كبيرة، رغم أنني لا أعرف إجابتها، ولا أرى أبي في السماء كلما نظرت هناك.

الكحل سبب كاف لأن أمنع تلك الدمعة من النزول لتطلي وجهي بالأسود، حتى ولو كان الناس يتبخرون فجأة بما يسمى الموت، حتى ولو كان هؤلاء الناس قريبين مني، هل مات أبي؟ هل حدث هذا فعلًا؟ أم أنني أحلم؟ حسنًا أنا أحلم.. أحلم.

"هل يمكن أن ينزل أبي مرة أخرى؟" قالت الطفلة فتساءلت لماذا لم تشترِ لها والدتها شيبسي لتسد فمها به.

أنتقل كجسم غريب من الأتوبيس إلى مبنى التأمينات، جسم لا أعرف ماهيته، هل هو كبير لأنه يرتدي السواد ويذهب إلى مصلحة حكومية وحده؟ أم هو صغير لأنه يذهب إلى هناك ليقبض المصروف؟ كنت آخذ مصروفي من والدي، الآن آخذه من الغرباء!

هل أجبت على أحد أسئلة الطفلة "ماذا بعد الموت؟".

بل ماذا قبل الموت؟ لا.. لا يمكنني أن أتذكر هذا الآن، لن أبكي، سأقف أمام بائع الجرائد هذا وأبحث بعيني عن أكثر جريدة بها عدد قتلى في صفحتها الأولى لأشتريها، صارت أخبار الموت بمثابة مهدئات لي منذ موت أبي، كلما هممت بالبكاء أقرأها فأشعر أن الأمر ليس شخصيًا ولا أتذكر وجه أبي فلا أبكي.

أشترى فاكهة مثلما كان يفعل أبي، لكني أفشل في كل مرة في أن أجعل البائع لا يخدعني، ولا يدس لي ثمارًا فاسدة في أسفل الكيس وهو يقنعني بأنها جيدة.

أدفع الأموال وأسير فَرِحَةً بفاكهة من مصروفي، أتوقع أن يسعدوا بها، أدخل البيت فأجده صامتًا، لا يأخذ أحدٌ ثمرة يغسلها ويأكلها، أناولهم الكيس، يضعونه جانبًا، ماذا كان يشعر أبي حين نأخذ الأكياس منه ونضعها جانبًا، ونتركه من دون أن نقول له الكثير؟ فقط "أزيك يا بابا؟".

لا يمكنني البكاء الآن؟ ماذا قلنا؟ ليس هناك بكاء في البيت، ثم إنهم يبدون بحال جيدة ولا يمكنني أن أنكد عليهم لأنني ذهبت إلى مشوار المعاشات في الصباح، نأكل معًا ونضحك، وأنسى مشوار الصباح، نتفرق بعد الطعام، يذهب كل منا ليجلس إلى جهاز "الكمبيوتر" الخاص به، أفاجأ بإخوتي أشخاصًا آخرين

علـــى "فيس بوك".. كانا يضحكان منذ قليل، والآن يكتبان أنهما لا يتحملان موت أبي، يحكـــي كلاهما ذكرى معه، تتلألأ الدموع فى عيني، أمسك بالجريدة وبدلاً من أن أقرأ أخبار الموت، أفتح صفحة الكلمات المتقاطعة، فـــأرى المربعات البيضاء فارغة وأتذكر وجه أبي وهو يحلها، لا أعرف حتى كيف أملأها.. أبكي.

فى المســـاء دائمًا أتذكر ماذا قبل الموت؟ لســـان معوج بكلمات غيـــر مفهومة، لا قبل ذلك، قبل الجلطـــة، كان يوم الجمعة الوحيد الذي لم نفطر فيه معًا كأسرة، بل أنا وأبي فحسب، كانت آخر كلماته لـــي أن أكمل طعامي معه، لكني أكلت بســـرعة وقمت، بل تهربت قبل أن يطلب مني صناعة كوب شـــاي له، وبعدها لا أتذكره سوى وهو مغمض العينين ويتفوه بتلك الكلمات، كان يجيب الجميع حين يســـألونه عن حاله، لكني أنا الوحيدة التى لم يجبها، كنت أبكي كلما تحدثت إليه وأســـألهم لماذا يرد عليكـــم ولا يجيبني، فيخبرونني أن الأمـــر مصادفة لكني كنت أتذكر آخر كوب شـــاي لم أصنعه له.. وأبكي.

نـــام الجميع وازداد بكائي كلما اشـــتد الليل، قـــررت أن أدخل لأنام، دســـت على قدم والدتي فاستيقظت، سألتني هل أغلقت الباب بـ"التربأس"، دائمًا أنســـى هذا البـــاب، والدي هو الذي كان يغلقه، حيـــن ذهبت لأغلقه ســـمعت خطوات أرجل تشـــبه خطوات أبي،

وقفت قليلًا.. ظننت أنني أحلم، وأن هذه الخطوات ستقترب من الباب ليدخل هو بنفسه ويغلق الباب خلفه، لكن الخطوات ابتعدت، فعاتبت نفسي لأنها كان يجب عليها أن تعرف من البداية أنه ما من أحد سيأتي من الخارج ليغلقه غيري، أليست كبيرة بما يكفي لتفهم ذلك!

أغلقته وشعرت برغبة في أن أتحدث مع والدتي قليلًا، رغبت في خلع الأسود من الغد، سألتها متى أخلع الأسود؟ لكنها لم تجبني، نامت، تنهدت وشعرت برغبة غريبة لأن أعود طفلة مرة أخرى، وبدأت أسألها "لماذا يموت الناس؟"، "هل أبي يرانا من أعلى؟"، "ماذا بعد الموت؟".

# الشرفة الأخرى

منـذ أن أخبرني بأنهم سـينتقلون للعيش في العمـارة المقابلة لعمارتنا، وأنا أحلم بهذا اليوم الذي سـأتمكن فيه من رؤيته في أي وقت، خاصة بعد أن علمت مدرسة اللغة العربية بعلاقتنا، ونقلتني من المجموعة التي نأخذ فيها الدرس معًا إلى مجموعة أخرى تضم فتيات فحسب، ولم يعد بإمكاني رؤيته كثيرًا.

فكرت بأنه حين يكون جارًا لنا، ستصبح والدته صديقة لوالدتي، ويتبادلان الزيارات، وحتمًا سيسهل هذا الأمر علاقتنا كثيرًا، وحين نكبر ويطلب يدي للزواج، لن يحتاج الأهل إلى معرفة بعضهم، بل سيصبحون عشرة عمر.

في هذا اليوم الذي عدت فيه من المدرسة، ووجدت أمام العمارة المقابلة لنا سيارة نقل تحمل أثاثًا، ابتسمت وركضت على سلالم منزلنا، دخلت شرفة حجرتي قبل أن أغير ثيابي، ونظرت لأعلى فوجدته واقفًا في شرفة تعلو شرفتنا يبتسم لي، أشار بأصابعه وقال شيئًا لم أفهمه، أعاده عدة مرات لكني كنت أهز رأسي في كل مرة بعدم الفهم، فتركني ثم عاد بعد قليل، وضع ورقة على سور الشرفة وكتب شيئًا، ثم وضع الورقة في مشبك غسيل وقذفه لي: "اخترت تلك الحجرة حتى تكوني أول شيء أراه كل صباح". نظرت له بابتسامة فقال شيئًا لم أفهمه، لم يكرره مرة أخرى، كتبه على ورقة وقذفها لي بمشبك آخر: "سأذهب لأساعد العمال، أراكِ فيما بعد".

خبت ابتسامتي حين سمعت صوت شجار بين والدي ووالدتي، دق قلبي وتساءلت إن كان صوتهما يصعد لأعلى، لأن العمارتين قريبتان جدًا من بعضهما، اضطررت أن أدخل وأغلق النافذة حتى أمنع الصوت قليلًا، وأنا أفكر ماذا لو سمع صوت شجارهما الدائم، الذي لم أضعه في حسباني حين أخبرني أنه سيصبح جارنا؟

بمجرد أن استيقظت في الصباح، قفزت من الفراش وفتحت الشرفة، كان واقفًا، أشار إلى الساعة في يده، ففهمت أنه يقصد أنني استيقظت متأخرة، وأن عليه أن يغادر، لكنه قبل أن يرحل فعل حركة دائرية بأصابعه حول وجهه وأشار لي وهو يبتسم، لم

أفهم قصده ولم يكتبه ويقذفه لي، لكني حين دخلت إلى الحجرة بعد أن ودعني، ونظرت في المرآة صدمتني هيئتي وتساءلت: "هل كان يقصد شعري المنكوش؟".

حين استيقظت في اليوم التالي، لم أقفز من الفراش إلى الشرفة مباشرة، لكني مررت على المرآة وصففت شعري أولًا، كان في انتظاري حين دخلت، لكنه لم يبتسم بل أشار بأصابعه تجاهي ولوح بيده بما يشبه سؤالًا لم أفهمه، ثم كتب شيئًا وقذفه لي بالمشبك: "كيف تدخلين الشرفة بتلك الثياب؟".

رغم أنني اعتدت ارتداء "بيجامات" بدون أكمام وبسراويل قصيرة خلال الصيف، إلا أنني شعرت في تلك اللحظة أنني عارية، نظرت له بخجل وضيق دون أن أشير بيدي بأي شيء، ثم خفضت رأسي لأسفل ناحية الشارع، وبعد قليل وجدت مشبكًا يقذف بجواري: "لا تغضبي مني، أنا أحبك، ولا أريد أن يراكِ أحدٌ غيري بتلك الثياب، إذا رغبتِ في ارتدائها فلا تخرجي بها إلى الشرفة". هززت رأسي بالموافقة وأنا أفكر فيما أرتديه حين أدخل الشرفة إلى أن أشتري "بيجامات" جديدة.

لم أعد أغير الثياب فحسب، بل صار عليّ أيضًا أن أفك شعري كلما دخلت إلى الشرفة، فإذا كنت ألفه "طاقية" أو بالـ"رولو"، أفكه كله حتى لو كان مبتلًا، كي لا يراني كريم بتلك الهيئة، حتى ولو

كنت أحضر "شرابًا" من الحبال الداخلية، لأنني لا أضمن خروجه إلى الشرفة في أي وقت.

ظللت محافظة على هيئتي أمامه حتى ذلك اليوم، الذي قمنا فيه بتنظيف الشقة لأول مرة بعد انتقاله للسكن أمامنا، كنا معتادين أن نقسم الحجرات بيني وبين أختي قبل التنظيف، وكنت أختار دومًا حجرتي والصالة لسهولة تنظيفهما، لأن بهما أقل قدر من الأثاث.

نظفت الحجرة كلها، وقبل أن أعبر مدخل الشـــرفة، تنبهت أنني أرتدي ثيابًا متسخة وإيشاربًا فوق شعري لحمايته من التراب، كنت أدخل الشـــرفة دومًا بتلك الهيئة يوم تنظيف الشـــقة، لكنني في تلك اللحظـــة أدركت أنه لم يعد بإمكاني فعل ذلـــك وكريم في الأعلى، دخلت إلى أختـــي التي كانت منهمكة في تنظيف الحجرة الأخرى، طلبت منها أن تنظف الشـــرفة بعـــد أن تنتهي من عملها، متحججة بأني أشعر بإرهاق شـــديد، لكنها رفضت قائلة إنني طالما اخترت الحجرة التي بها الشرفة، فيجب أن أنظفها كاملة.

دخلت إلى حجرتي في يأس، وقفت لبعض الوقت خلف الستار أنظر إلى أعلى، لم يخرج كريم إلى الشرفة، ظننت أنه ليس موجودًا بالمنزل خاصة أنني لم أره منذ الصباح، فقررت أن أدخل لأنظفها بسرعة قبل أن يأتي.

بعد أن انتهيت، جلست على الأرض ألملم التراب في "الجاروف"،

حينها سمعت صوت والدة كريم تناديه من داخل الشقة، ارتبكت ونظرت عاليًا فرأيته من ظهره، كان متجهًا ناحية الداخل، تركت كل شيء بيدي، وركضت ناحية المرآة.. حاولت أن أعيد جلستي بـ"الجاروف" أمامها، حتى أتخيل كيف كان شكلي من أعلى، وأنا أتساءل في أية لحظة دخل الشرفة وفي أي وضع رآني!

بعد أن استحممت، صففت شعري جيدًا، وظللت أدخل للوقوف في الشرفة بين حين وآخر، لأمحو الهيئة التي رآني عليها، لكنه لم يخرج سوى ليلًا، لوح لي بيده مرة واحدة ولم يقل شيئًا، ورغم اعتيادنا على عدم التحدث في الليل لأن العتمة كانت تمنعنا من فهم لغة الإشارة التي بدأت في تعلمها منذ أن سكن بالأعلى، إلا أنني شعرت بضيق شديد حين دخل بعد أن أنهى سيجارته دون أن يقول شيئًا أو يقذف بمشبك، ظللت أتساءل طوال الليل، إن كان تمكن من رؤية ثيابي النظيفة وشعري المصفف في العتمة، أم أنه لا يزال يتخيلني بتلك الهيئة الصباحية؟!

صرت بعدها أتعمد الدخول إلى الشرفة بملابس الخروج، والوقوف فترات طويلة، حتى إذا خرج كريم يراني ويتذكر كيف كانت علاقتنا قبل أن ينتقل إلى السكن، خاصة أنه لم يعد يخرج إلى الشرفة كثيرًا، كما كان يفعل في أول انتقالهم للشقة الجديدة.

لمحته ذات مرة بالصدفة في غير المواعيد التي اعتدنا التقابل

بها في الشرفة، لوحت له بيدي بما يشبه السؤال، ولم أتوقع أن يفهمه، لكنه كتب لي ورقة: "لا أجلس كثيرًا في المنزل تلك الأيام، أذاكر مع أصدقائي في الخارج لأن الامتحانات اقتربت"، هززت رأسي بالموافقة رغم عدم اقتناعي بالأمر، لمعرفتي أنه آخر شخص يهتم بالمذاكرة.

قررت في تلك الأيام أن أركز في مذاكرتي، وألا أخرج إلى الشرفة كثيرًا، كنت أفرد الستارة للنهاية حتى أتمكن من رؤيته إذا خرج إلى الشرفة دون أن يراني، لكنه لم يعد يخرج كثيرًا وإذا خرج لا يتوقف طويلًا ولا ينظر إلى شرفتي، بل ينهي سيجارته بسرعة ويعود إلى الداخل، شعرت أن به شيئًا مختلفًا، وأقنعت نفسي بأن ذلك راجع إلى رهبة الامتحانات، وفضلت أن أؤجل الحديث بيننا إلى حين انتهائها.

بعد انتهائها بيوم واحد، قررت والدتي أن تقلب الشقة رأسًا على عقب، لتنظيفها لأنها طوال فترة امتحاناتنا لم تتمكن من ذلك، اختبرت في تلك المرة حجرة أخرى غير حجرتي، لكنني أثناء تنظيفي لها، سمعت صوت والدتي عاليًا، ركضت باتجاه صوتها الذي يهل من حجرتي.

فوجئت بها تتشاجر مع والدة كريم، لأنها حين بدأت في "تنفيض" السجاد، خرجت والدته تشكو بسبب صعود التراب وترسبه على

غسيلهم، لقرب المسافات بين العمارتين، فاستغلت والدتي الفرصة لتخبرها بأنها أيضًا تغسل شرفتها دومًا دون أن تخبرنا بوضع "مشمع" فيتسخ غسيلنا النظيف دون أن نشتكي.

ارتفع صوت الشجار بينهما وظلتا تتبادلان هذا النوع من الاتهامات، كنت أظنهما قبل تلك اللحظة لا يعرفان بعضهما، وكنت أتحين الفرصة ليتحقق حلمي وتصيران صديقتين، لكني فوجئت بأنهما يعرفان بعضهما معرفة أخرى، وتحمل كل واحدة منهما للثانية غضبًا مكبوتًا.

تنفست الصعداء حين تمكن الجيران من تهدئتهما، وانتهى الأمر دون أن يظهر كريم في الشرفة، تمنيت أن يكون بالخارج وقتها ولم يسمع شيئًا من هذا الشجار، لكني علمت بوجوده في المنزل وتأكدت أنه يعرف ما حدث، حين سمعت والدته تناديه بصوت غاضب بعدما دخلت.

في اليوم التالي دخلت إلى الشرفة بمجرد أن رأيت كريم من خلف الستار، أشرت له بيدي، حياني دون أن يبتسم، جلبت كتابًا من الداخل وأشرت إليه بسؤال عما فعله في الامتحانات، هز رأسه بما يعني أنه أحسن صنعًا، انتظرت قليلًا حتى يبدأ بالكلام، لكنه لم يقذف بأي مشبك، بل أشار لي بأنه سيدخل، لكني أوقفته بيدي، لم يفهم سؤالي من أول مرة، فكتبت له على ورقة بخط عريض:

"ماذا بك؟"، هز كتفيه بما يعني لا شيء، فكتبت بخط عريض مرة أخرى "اكتب لي"، فقذف لي بـ"مشبك"، "أقول لك.. لا شيء بي"، فرفعت له ورقة "ماذا بك" مرة ثانية، وظللت أمسك بها وأنا أنظر له في انتظار إجابة أخرى، فقذف لي بورقة "لقد تغيرتِ كثيرًا.. لا أعرف كيف أشرح الأمر، لكني أشعر به".

شعرت بالضيق وقتها وكتبت له "كيف؟" وانتظرت إجابة، لكنه قذف لي بالمشبك الأخير "لا يمكنني الكتابة بعد اليوم لأن والدتي تشك بالأمر، بعد أن لاحظت نقصًا في المشابك وسرعة نفادها، سأدخل الآن ونتحدث فيما بعد حين نتقابل".

زاد ضيقي بعد أن تركني ودخل، رغبت أن أكتب له ورقة أقول فيها إنه هو الذي تغير كثيرًا ولم يعد يحبني، وأننا لا يجب أن نجعل مشاجرات بين الأمهات تؤثر على علاقتنا، وأنني لم أتغير في شيء، ولا أزال أحبه مثلما تعارفنا أول مرة، لكنني لم أتمكن من قول أي شيء، لأنه يسهل قذف ورقة تحمل كل هذا الكلام من أعلى إلى أسفل وليس العكس.

لم نتفق على موعد لنتقابل فيه بعدها مثلما أخبرني، ولم أعد أراه في تلك الشرفة، بل صرت أرى بدلًا منه والده الذي أصبح يخرج يوميًا ليدخن سجائره في الليل، فهمت أنهم غيروا الحجرات، وصارت تلك الشرفة المواجهة لي حجرة والده ووالدته.

تقابلنـــا بعد فترة بالصدفـــة عند محل "المنظفات"، ســـلم علي وطلـــب من البائع أن يحضر لي ما أريد أولًا رغم أنه كان موجودًا قبلي، فصممت علـــى أن يحضر له البائع طلباته أولًا، ذهب البائع ليحضر الأشياء وتركنا وحدنا، لكننا لم نتبادل أية كلمات خلال تلك اللحظات.

دفع كريم الأموال للرجل وحين أخذ باقي الحساب وضعه في أحد جيوبه، وأخرج من الجيب الآخر ورقة مالية وطلب منه أن يحضر له "مشابك" ثم أخذها وودعني، وظللت أتساءل بعد رحيله عن حاجته لتلك المشابك إذا كان توقف عن قذفها لي، وصرت أفكر فيما تطل عليه الشرفة في حجرته الأخرى.

# ثرثرة

استيقظ الباب على صوت غلقها له بعنف فقال متسائلًا: "متى خرجت لتعود؟" أجابه عقرب الدقائق بأنها ذهبت وعادت قبل أن يكمل لفته المغربية الستين في "تراك" الساعة.

تذمرت السجادة من عدم خلعها للحذاء المبلل بالمطر والمتسخ بالطين قبل سيرها فوقها: "حين تعود والدتها وترى تلك البقع السوداء، ستضعني في "البانيو" أسفل الدش البارد، فهم يوفرون الماء الدافئ لأنفسهم دائمًا".

صاحت أوراق المناديل "ألم يعد في الحياة رحمة، ألا ترون بكاءها".

"تركنا لكِ دموعها ومخاطها، وما تفعله بكِ في الحمام"، ردت السجادة في غيظ.

"كفا عن تلك المشاجرات.. تبدو الفتاة حزينة فعلًا، يجب أن نتحملها جميعًا، سأتحملها حتى لو جلست فوقي طوال اليوم" قال المقعد بصوت مخنوق بسبب ضغط الفتاة عليه. لكنها بمجرد أن قامت صاح بصوت واضح: "لماذا فعلتِ بي ذلك، تلك البقعة التي تركتها لا يمكن غسلها بسهولة، لست سجادة يضعونها أسفل الدش، لكنهم سيخفونني في الحجرة التي لا يدخلها الضيوف، وليس بها تليفزيون، كيف سأتابع المسلسل التركي إذن؟".

"لا تقلق، إذا أدخلوك فعلى الأقل سأعلي من صوتي حتى يصلك، وربما لا أحتاج لذلك، فحين تكون الفتاة في مزاج جيد، ترفع صوتي لأعلى درجة" قال التليفزيون.

.. لكنها ليست في مزاج جيد الآن.

- حين تتسرب تلك البقع من الفتيات لا يصبحن في مزاج جيد، هكذا يقولون في الإعلانات، يبدو أن هذا سبب حزنها.

"حين تكون حزينة بسبب ذلك، تضمني إلى بطنها بشدة، يبدو

أن هناك أمرا آخر" أكدت المخدة الموضوعة فوق الكرسي.

"أحدهم يعرف السبب.. لكنه لا يود إخبارنا" قال المقعد، فنظروا جميعًا إلى المعطف الذي خلعته الفتاة وألقت به على الطاولة، لكنه ظل صامتًا، فلم يعتد التحدث مع الغرباء، تلك هي المرة الأولى التي تتركه الفتاة هكذا مع من لا يعرفهم، فحين تكون والدتها هنا تخلعه في الداخل، وتتركه على الفراش الذي كثيرًا ما يتمدد فوقه بحرية، أو تعلقه مع أقرانه، الذين يشبهونه رغم ألوانهم المختلفة، أما هؤلاء الفضوليون، الموسوسون بالنظافة فلا يشبهونه على الإطلاق، أقربهم إليه المناديل، ربما لذلك لا يتضايق حتى لو وضعتها الفتاة مبتلة في جيوبه، أما البقية فلا.. فكر المعطف.

تضايقوا جميعًا من صمته، فأخذوا يتبادلون السخرية منه. قالت السجادة التي كان طرف المعطف مدلدلًا بالقرب منها: "ينبعث منه رائحة عرق ومطر، كيف للرائحتين أن يجتمعا معًا، ألا تحممه الفتاة، لماذا إذن يحممونني كلما أوقعوا شيئًا فوقي؟". "ربما للرائحتين ذاكرة حب لدى الفتاة، قل لنا يا صديقي، هل تبكي لأن أحدهم قام بخلعك، أم لأنك لم تخلع أبدًا" قال التليفزيون بخبرة اكتسبها من الحكايات التي تحدث بداخله.

استمرت سخريتهم منه، لكنه واصل صمته، حتى فكرت المناديل أن توجه دفة الحديث إلى جانب آخر، دون أن تشعرهم بعطفها تجاه

من يأويها في بعض الأوقات، فكرت أنهم لو شـــعروا بهذا العطف سيوجهون سخريتهم تجاهها، ربما يعايرونها بقولهم الدائم "لم يبق ســوى أن يتحدث الصغار، الذين ينحصـــر عمرهم بين بصقة أو دمعة أو مخاط" فهي لا تقدر على سخريتهم.

"ما زلنـــا لا نعرف ماذا حـــدث للفتاة"، قالت ورقـــة المناديل فنجحت خطتها وتوقفوا عن الســـخرية مـــن المعطف، قال المقعد: "أسمع صوت المياه من الدش، وطالما فتحت تلك المياه، فلن تعود إلينا مرة ثانية، بل ستختفي في حجرتها كما تفعل دائمًا.. حسنًا على الأقل لن تجلس فوقي اليوم".

قالت المخدة: "لدي فضول لمعرفة ما بها، ليتها تأخذني معها إلى الداخل وتضمني إلى بطنها فأرتاح".

"أتعتقدين ألا يوجد بالداخل مثلك وأحسن منك" فكر المعطف دون أن ينطق.

"أتعرفون من يملك سر الفتاة حقًا ويمكننا استدراجه، هذا الهاتف الذي تحمله معها في كل مكان، ولا تتركه من يدها أبدًا، حتى وهي تجلس على طاولة الطعام" قال التليفزيون حين سمع صوت رنين هاتفها يأتي بعيدًا من الداخل.

"لكنه لن يخرج من الحجرة إلا إذا خرجت الفتاة، وهذا يعني أنه ربما يبقى بالداخل اليوم" قال المقعد.

"فرحتم جميعًا حين اشترت هاتفًا نقالًا، اجعلوه يحكي لكم إذن ما حدث في الخارج، إن استطعتم تثبيته في مكانه" قال الهاتف الأرضي في شماتة بعد أن وجد فرصته للمرة الأولى، لكي يرد لهم إهانتهم له حين لم يخفوا فرحتهم بشراء الفتاة ووالديها للهاتف النقال بقولهم "أخيرًا سنرتاح من رنينك المزعج"، لكن شماتته لم تكتمل حين فاجأتهم الفتاة وخرجت من الحمام وهي ترتدي "البشكير" وتمسك بهاتفها، ثم جلست فوق المقعد.

"بشكير فحسب، لا أريد المزيد من البقع" قال المقعد في غضب، "شششش" صاح الجميع به حتى يصمت ليتمكنوا من الاستماع إلى المكالمة من بدايتها: "ماذا تريد الآن؟ ما هذا الذي فهمته خطأ، رأيت رسائلك لها بعيني، لا تتصل بي مرة أخرى، نعم سأغلق الخط في وجهك.. لو كنت تحبني ما كنت خنتني.. أنت خائن.. لا أصدق هذا الهراء، ولماذا يرسل لها صديقك تلك الرسائل من هاتفك، أليس معه هاتف مثلًا؟ ربما كانت تناديك باسم آخر في الرسائل لأنك تكذب عليها ولا تخبرها باسمك الحقيقي.. لا أعرف.. لا أصدق.. أقسم أنك تقول الحقيقة.. أكرهك.. نعم أكرهك، أتحبني رغم كرهي لك؟ من قال إني أحبك؟ قلت أكرهك، هل كلمة أكرهك

تعني أحبك لديك.. حسنًا أحبك لعلك تفهم عكسها". بدأت الفتاة تضحك، ثم وضعت ساقيها فوق الطاولة، أمام دهشة الجميع حولها، الذين عرفوا أخيرًا ما كان يبكيها.

اطمأن الباب إلى أن أحدًا لن يزعجه من نومه بعنف تلك الليلة مرة أخرى، وبدأت عقارب الدقائق تحسب عدد اللفات التي ستقوم بها قبل أن تغلق الفتاة المكالمة حتى تخبر الباب إذا سألها، راهنهم التليفزيون على أنها ستفتحه بعد قليل على قناة الأغاني لترقص "هي تفعل ذلك حين تكون سعيدة، انظروا إلى وجهها".

تساءلت السجادة في غضب "لماذا ترفع قدمها عني حين تكون نظيفة، بينما تسير فوقي وهي ترتدي حذاءً متسخًا"، ظل المعطف منتظرًا رنين جرس الباب، الشيء الوحيد الذي سينبه الفتاة إلى ضرورة حمله إلى الداخل، وكانت الطاولة تبادله نفس الشعور، على عكسهم كانت المناديل تعرف أنها لن تكون المرة الأخيرة التي ستحتاجها الفتاة فيها، ولم يعد المقعد يابه بأي بقعة ستتركها الفتاة فوقه، وصار لا يخشى نقله إلى الداخل، بعد أن عرف أن هناك أشياء تقولها الفتاة تشبه ما يقولونها في المسلسل الذي يتابعه، الفرق الوحيد أنها حكايات من دون صورة، لكن هذا لم يضايقه، تذكر الراديو الذي كان يحكي حكايات بصوت فحسب فيما مضى، فشعر بحنين إلى تلك الأيام.

# قبلة أخيرة

شعرتْ بألم شديد في كل جسدها وهي تجلس فوق المرحاض، وجع أكثر من أي مرة، أحست أنها تحتضر، سعدت لأنها بذلك ستريتاح من آلامها للأبد، أزالت يدها المستندة على حائط الحمام، لتترك نفسها للموت.

"إذا مت في الحمام، فلن تقبلني منة" جاءها هذا الخاطر فجأة، فأسندت يدها مرة أخرى بسرعة على الحائط، كانت الصغيرة أحب أحفادها إليها، لم تتعدَ السبع سنوات بعد، لذلك كانت تحتفظ بشجاعة فعل أي شيء دون خجل أو مداراة، فتضع يدها على وجهها خلف كل قبلة تمنحها لها، لتزيل ما بقى منها من لعاب، لم تتضايق الجدة

من هذا الأمر أبدًا، لكنها كانت تبتسم لأن "منة" لم تكبر بعد.

فكرت في تلك اللحظة أن باقي أحفادها كبار بما يكفي ليقبلوها، ويلمسوها لو ماتت في الحمام، وبعد ذلك يذهبون لغسل أيديهم ووجوههم، بينما منة ستقف مصدومة لتنظر لها من بعيد، وهي تتأمل جسدها الذي نقلوه من الحمام إلى الفراش، وتفكر أين تذهب جدتها بعد ذلك! وربما تعاتبها في سرها على أنها لم تمت في مكان آخر غير الحمام، حتى لا تثار خيالات مقرفة لديها، وربما ما هو أبشع من ذلك أن تقترن ذكراها في عقل حفيدتها بالحمام ورائحته.

اشتد عليها الألم أكثر، تخيلت أنها لو قامت سينكسر ظهرها، وينقسم إلى نصفين، نصف يقع في المرحاض، والآخر يقع مع باقي الجسد على الأرض، أيقنت أنه من المستحيل أن تغادر الحمام لتموت في مكان آخر، خاصة بعد أن تذكرت العشرين بلاطة، التي عليها تجاوزها من الحمام إلى غرفة النوم، لو لم تكن تعرف عددها، لكان أسهل أن تخدع نفسها بعدد أقل، لكنها كانت تحفظها بعد أن صار عدُّ البلاطات، هو تسليتها الوحيدة أثناء مشوارها اليومي من الغرفة إلى الحمام.

قبل أن تترك نفسها مرة أخرى، أعادت نسمة هواء مفاجئة، حملت معها رائحة البول، الخاطر الذي تخشاه، ماذا لو تحدث أصدقاء منة في المدرسة أمامها عن جداتهم اللاتي رحلن؟ ربما

تقــول إحداهن "مــا زلت أتذكر رائحة الخبز الــذي كانت تصنعه جدتي"، وربما تقول أخرى "كانت رائحة النفتالين تنبعث دائمًا من دولاب جدتي".. لكن ماذا ســتقول منــة إذا جاء دورها؟ فكرت أن حفيدتها لن تجد ما تقوله، لأنها ستخجل كلما كبرت أن تقول إنها لا تتذكر من جدتها سوى رائحة البول! في تلك اللحظة فقط قررت أن تستجمع قواها حتى لا تعرضها لهذا الموقف.

بعد أن تجاوزت أول بلاطتين، توقفت من شدة الألم، رغبت في إنهاء الأمر بالسقوط على الأرض لترتاح نهائيًا، خاصة أنه لا يزال أمامها 18 بلاطة أخرى، لكنها قالت لنفسها "لن أموت سوى فوق فراشي" وبدلًا من حساب البلاطات التي تصيبها بالإحباط، فكرت أن تشغل نفسها عن الوجع بتوديع الأثاث للمرة الأخيرة.

ربما لم تتخيل طوال حياتها، أنه لن يكون معها أحدٌ لتودعه قبل موتها غير أثاث المنزل، فكرت أنه إذا لم يكن الهاتف معطلًا، لكانت وجدت من تودعه من أبنائها وأحفادها، تخيلت الموقف، ماذا كانت ستقول لمن تتصل به من أبنائها؟ "احضر لأودعك قبل أن أموت"، أم تقول "أنا أحتضر" فحسب.. أم ماذا؟ بل بمن منهم كانت تتصل؟ ربما لو اتصلت بأحد لغضب الآخرون، خاصة لو حضروا ووجدوها قد فارقت الحياة، وربما يظل بداخلهم طوال الوقت ضيقٌ لأنها في تلك اللحظة فضلت أحدهم على الآخرين،

حين فكرت في ذلك شعرت بامتنان لعطل الهاتف، وأحبت فكرة توديع الأثاث أكثر.

تجاوزت خمس بلاطات من الطرقة الخالية من الأثاث إلى الصالة، أسندت يدها على أقرب كرسي سفرة إليها، تذكرت إصرارها منذ سنوات بعيدة على استبدال الطاولة ذات الكرسيين، بأخرى من ستة مقاعد، قالت لزوجها "صار لدينا أبناء، سيكبرون يومًا ما وسنحتاج إلى مزيد من المقاعد لهم ولأبنائهم". لم تكن تعرف وقتها أن الأبناء سيكبرون ويأتي الأحفاد لكن المقاعد ستظل فارغة طوال الوقت، وأنها ستحتاجها لغرض آخر، حين لا تجد غيرها لتستند عليه في طريقها من الحجرة إلى الحمام، ربما لا تحتاج إلا لثلاثة مقاعد منها، لكن وجود الستة يشعرها بأمان أكثر، حين أمسكت بالمقعد الثالث الأقرب إلى غرفة نومها فكرت "ثلاثة أبناء.. وينتهي بي الحال إلى ثلاثة مقاعد لا أتحرك بدون مساندتهم، لماذا لا يكتفي الناس بأثاث المنزل إذن!".

شعرت بغضب على أبنائها في تلك اللحظة، فكرت أن تترك نفسها لتموت هنا.. على الأرض أسفل الكرسي، حتى يلاحقهم الذنب طوال حياتهم، تذكرت اقتراح أحدهم "لم يعد هناك من يزورك، فلماذا تحتفظين بطاولة كتلك تسد طريقك! يمكننا بيعها" آمَن الآخران على كلامه حينها. "لكن على ماذا تستند جدتي إذا لم

تعد الطاولة هنا" ابتسمت حين تذكرت جملة منة التي قالتها بتلقائية، فلم ينطق أحد بعدها.

تراجعت عن تفكيرها في أبنائها في تلك اللحظة، ولم تعد تفكر سوى في منة، احتملت من أجلها أصعب خمس بلاطات، دون مقعد أو أي أثاث تستند إليه، احتملت الألم الذي كان عليها الشعور به للجلوس فوق الفراش، استلقت على ظهرها أخيرًا بعد صراخ طويل، وشكرت الموت الذي تحملها كل هذه المسافة دون أن يقاطعها في المنتصف، شعرت براحة غريبة في تلك اللحظة، ولم تعد تنتظر شيئًا آخر سوى قبلة أخيرة على وجهها من حفيدتها.

# ليل ببذلة محقق

كنت أحـب الليل كثيرًا قبـل أن يتقمـص دور المحقق، الذي يستضيفني ويستبقيني لديه بكل أنواع الكافيين، كي يوجه لي أسئلته السـخيفة "كم عزيزًا رحل"؟ لا أود أن أفكر بهم، فهذا يسـتدعي بكائي.. هل الموت أكثر سوادًا مني؟ حين نزورهم لا تأتي الشمس معنا، يعيشـون أسـفل الأرض في ليل دائم بلا نجوم أو قمر يزين وحشـته.. ماذا لو أغمضتِ عينكِ وفشلتِ أن تفتحيها في الصباح، هل تتحملين الليل الطويل؟ سـأطلب مـن حبيبي أن يختبيء حتى يرحل الجميع، ليثقب لي خرمًا صغيرًا، يدخل منه خيط من خيوط الشمس كل يوم في الصباح، وفي المساء تقفز النجوم فوقه وتزورني

أصغرها، تلك القادرة على اجتياز الثقب الضيق، وحين يأتي الشتاء تتسلل قطرات المطر حتى تتكون بحيرة صغيرة أتسلى بالسباحة فيها، لكنك لا تمتلكين حبيبًا الآن! آه.. صحيح، يجب أن أبحث عن حبيب لأخبره بهذا الأمر بسرعة، وماذا لو متِّ قبل أن تحبي؟ لا.. لا يمكن أن أموت بدون حب؟ فكيف يسعد الموت بانتصاره إذا لم يأخذني من حضن أحدهم! ربما يفعلها الآن وأنتِ تمرين بعينك فوق تلك الكلمة القادمة؟ عبرت صفحة كاملة ولم يأتِ، دعني أكمل الرواية التي أقرأها بدلًا من الأسئلة.. وماذا لو متِّ قبل أن تنهي القراءة! ربما أجد من يكمل لي حكيها هناك.. وهل تظنين أن تجدي أحدًا هناك؟ لو ذهبت ووجدتني وحيدة سأحكي لنفسي الحكايات.. وماذا لو ذهبتِ ووجدتِ نفسك في نفس العالم لكن في جسد آخر؟ ليتني أتحول إلى قنديل بحر "قمري" حينئذ، يعرف كيف يتعايش مع تلك الأشياء التي يفقدها، فإذا ما فقد إحدى قوائمه، لا ينتظر أن تنبت له قائمة جديدة، لكنه يرضى ويبدأ في التأقلم مع الفقد، بإعادة توزيع قوائمه من جديد لتبقى المسافة بينها متساوية، وكأنه لم يفقد شيئًا، لو كان بإمكاني أن أفعل مثله، أعيد ترتيب المسافات بين من تبقى من الأحبة، ليعوضوا فراغ من رحلوا، أوقفهم صفًا في قلبي، أخبرهم رحل فلان وأحتاج منكم أن تعيدوا ترتيب الحب من جديد، ماذا لو تقفين أنتِ هنا وتمثلين دور جدتي، تحكين لي حكايات مكررة، وأنا لن أرفع صوت التلفاز ليغطي على صوتك كالعادة،

ســـأنصت إلى كل الحكايات بعين ملتمعة كما لو أنكِ ترويها للمرة الأولـــى، ماذا لو تقف أنت هناك وتمثـــل دور أبي! تمنحني عيدية صباح كل عيد، وتأخذني فى حضنك حين أبكي وأنت تقســـم أن ما من شـــيء فى العالم يمكن أن يقترب مني هنا.. هل تبكين؟ أشتاق إليهـــم.. هل ترغبين فى الذهاب إليهم؟ لا أعرف.. أخاف.. لماذا لا يعودون هم إلى هنا! تعرفين أن الأمر مستحيل! أعرف.. ماذا لو لم يكن الأمر هناك مثل هنا؟ أرجوك كفى.. دعنا هنا الآن ولا نفكر فى هناك؟ لكنك تعرفين أن هناك ســـيحدث يومًا ما؟! لا أتحمل كل هذا الضغـــط، أتهربين من الحقيقة! أنا منهارةٌ تمامًا وأرغب فى النوم.. تهربين إذن؟ أود النوم حقًّا لكني سأقاوم بجرعة كافيين أخيرة، حتى أشاهد الصباح يلتهمك على مهل.

# عصفور الفراق

"عصفور من أمريكا.. تضع له عصيرًا ليشـــربه! ماذا؟ تحممه وتنشفه بالسيشـــوار!" انتبهتُ على ضحكات والدتي وهي تتحدث بتلك الكلمات، فخفضت صوت مسلســـلي المفضل، لأســـتمع إلى محادثتها مع خالتي عبر الهاتف.

لم نكن نذهب إلى خالتي كثيرًا بسبب بعد منزلها، لذلك كنت أسترق السمع دومًا حين تتحدث والدتي معها عبر الهاتف لأعرف الأخبار الجديدة، فهناك دائمًا أخبار جديدة عند خالتي، كنت أشعر أن ليس منزلهم وحده هو الذي بعيد، بل حياتهم أيضًا بعيدة عن حياتنا تمامًا.

فزوج خالتي لديه عربة بسائق خاص يرتدي دومًا زي الجيش، وكلما أتوا لزيارتنا وأطالوا الجلوس لدينا، كنت أدخل إلى الشرفة، لألقي نظرة على السيارة وأفكر كيف يحتمل السائق أن يجلس كل هذا الوقت الطويل بداخلها، دون أن يشعر بملل، لكن زوج خالتي كان يقطع مله أحيانًا وينادي من شرفتنا بـ"يا عسكري"، ويطلب منه أن يحضر بعض الأشياء.

عدم امتلاكنا سيارة لم يكن الاختلاف الوحيد بين حياتنا وحياتهم، بل كانوا أيضًا يذهبون دائمًا إلى النوادي، ولم أرَ النادي حينها إلا في التليفزيون، كنت أحقد بداخلي على "ياسمين" ابنة خالتي لأن بإمكانها أن تذهب إلى هناك وتمارس الرياضة، وتحب هذا الفتى الذي ربما يلعب معها نفس الرياضة، أو يقابلها في الكافيتريا، وأقول في نفسي لديها الجامعة والنادي وكل الأماكن الصالحة للحب التي تأتي في المسلسلات، وليس لدي سوى مدرسة للفتيات وبيت تطل شرفته على "جراج"!

كانوا يجددون بيتهم دائمًا أيضًا، حين ذهبنا لزيارتهم بعد أن صار في حمامهم "بانيو"، تمنيت لو تسمح لي والدتي بالمبيت لديهم ولو ليوم واحد، حتى يمكنني الاستحمام بداخله، وسط رغاوي الصابون كما أرى في الأفلام ولا أرى في منزلنا، لكنها رفضت، كانت ترفض دومًا أن أبيت هناك وتقول لي بحزم "تذهبين وتعودين معي في نفس اليوم".

كنت أحزن قليلًا في كل مرة أطلب منها ذلك وترفض، لكني في النهاية تغاضيت عن الأمر، إلا أنني لم أستطع التغاضي ذلك اليوم الذي عرفت فيه أن زوج خالتي اشترى لـ"ياسمين" عصفورًا من أمريكا، خاصة بعد أن سمعت حكايات عنه مع ياسمين، وكيف أنها حين تناديه باسمه الذي أطلقته عليه "كوكو" يردد اسمه بنفس النبرة، وإذا ناداه شخصٌ آخرُ لا يرد، كما أنها تخرجه من القفص في بعض الأحيان ليأكل من الطعام الذي تأكل منه، وتضع له العصير فيشربه، وتحممه وتنشف جسده بالسيشوار.

رغبت بشدة في الذهاب إليهم لأرى "كوكو"، تمنيت أن أحممه في الوعاء، وأستحم أنا أيضًا في البانيو، أن أنشف جسده بالسيشوار، وتصفف ياسمين شعري به، لينفرد مثل شعرها الذي كان مصففًا طوال الوقت.

بعد أن رفضت والدتي محاولاتي الكثيرة لإقناعها، قررت أن أطلب من خالتي أن تقنعها، انتظرت حتى نامت وطلبت رقمها سرًا، ردت عليّ ياسمين، وأخذت تحكي لي عن "كوكو"، كنت أقاطعها بين حين وآخر لألمح لها أنني أرغب في رؤيته، دون أن أقولها صراحة، رغم أنني كنت أنوي فعل ذلك قبل أن أتصل، لكنني خجلت حتى قالت لي "لماذا لا تأتين لتباتي معي يومًا، ونسهر سويًا"، حينها فقط تشجعت وتمكنت من إخبارها بأن والدتي

ترفـــض الأمر، قلت لها ذلك، ولم أكن أعرف إن كانت قادرة على فعل شـــيء أم لا، لكنني فوجئت أن خالتي تتصل بوالدتي في اليوم التالي، وتقنعها بأن تتركني أبات لديهم، ولم تدع لها مجالًا للرفض حين أخبرتها بأنها سترســـل لي العسكري في المساء، بعد أن ينهي مشاوير زوجها ليوصلني إليهم.

لم أستطع النوم هذا اليوم من شدة سعادتي، ظللت طوال الليل أحلم وأتخيل ما سأفعله في بيت خالتي، في البداية سأركب تلك السيارة وحدي، وسيكون هذا العسكري سائقي الخاص، لن أجلس بجواره، بل سأجلس في الخلف كما تفعل ياسمين، وسأجعله يحمل حقيبتي حتى بيت خالتي، وحين أدخل الشقة، سأذهب مباشرة إلى الحمام لأستحم في هذا البانيو الجديد، لا سألعب مع "كوكو" أولًا، ثم اذهب إلى البانيو لأجلس فيه أطول مدة ممكنة، فربما لا توافق والدتي على مبيتي هناك مرة ثانية، وبعد أن أنهي استحمامي.. ربما أطلب من ياسمين أن تصفف لي شعري، وتضبط حاجبي، فهي بارعة في تلك الأمور، كما أن لديها مكياجًا كثيرًا جدًا، سأطلب منها أن تضع منه على وجهي.. ربما تعلمني الرقص الذي تتقنه، ونرقص سويًا على الأغاني في تلك القنوات التي لا تأتي في التليفزيون في بيتنا، لأننا ليس لدينا "دش" مثلهم.. ربما تسمح لي باللعب في هاتفها المحمول، وتتركه معي بعض الوقت لأتعلم كل شيء به، وربما

تحكي لي قصصها ومغامراتها في الجامعة، وأعرف الشخص الذي تحبه.. لأنها حتمًا تحب.

كنت سعيدة حين ركبت السيارة وحدي للمرة الأولى وكأنني أملكها، لم أتبادل مع العسكري كلمة واحدة طوال الطريق، كنت أراقب الشوارع وأنا مستمتعة بجلوسي في مقعد ياسمين، وأشعر لأول مرة بالرفاهية التي تعيش فيها، لكن الأمر لم يكتمل كما أردت، فحين توقف العسكري بالسيارة أمام بيتهم، لم ينزل ليفتح لي الباب ولم يحمل حقيبتي كما يفعل معها، انتظرت في مكاني قليلًا حتى يفعل، لكنه لم يتحرك من مكانه، بل أشار بأصابعه قائلًا "هذا هو البيت"، فحملت حقيبتي ونزلت من السيارة وأنا أشعر بالغيظ لأنه لم يقل لي حتى "يا فندم"، وتمنيت لحظتها لو تأتي خالتي لزيارتنا دومًا وتطيل الجلوس لدينا، حتى يقتله الملل في السيارة أسفل بيتنا.

حين فتحت لي خالتي الباب، رأيت ياسمين تجلس في الصالة منشغلة بالحديث في هاتف المنزل، كانت تتحدث لفترات طويلة دومًا، فكرت أن أستحم حتى تنتهي من مكالمتها، لكني تراجعت بعد أن دخلت الحمام ووجدت عددًا كبيرًا من المنظفات، وعجزت عن معرفة أي منها الذي يصنع "الرغاوي" في "البانيو"!

خرجت من الحمام وجلست بالقرب من ياسمين، وكلما ظننت أنها ستنهي المكالمة، كانت تفتح أحاديث أخرى، شعرت بالملل ولم أجد ما أفعله، خاصة أن التليفزيون كان مطفأ، ولم أكن أعرف كيف أفتح قنوات "الدش"، خشيت أن أجرب فأفسد شيئًا به، بدأت أشغل نفسي بالاستماع إلى أحاديث ياسمين التي كان معظمها عن المحاضرات، ولا تثير انتباهي، وكنت أسمع "كوكو" يصدر زقزقة من بين حين وآخر من حجرتها، فيزداد شغفي لرؤيته، بينما كانت نظراتي معلقة على باب حجرة خالتي وظللت أتساءل لماذا تأخرت كل هذا الوقت، رغم أنها أخبرتني أنها ستدخل لتوقظ عمي فقط؟!

أنهت ياسمين مكالمتها، وقامت من مكانها لترحب بي أخيرًا، ثم أخذتني إلى حجرتها، فشعرت أن اليوم الذي حلمت به قد بدأ.

لم يكن "كوكو" ملونًا كما تخيلته، بل كان رمادي اللون، أخبرتني ياسمين وهي تلعب معه بوضع أصابعها له بين القفص ويعضها، بأنها حين رأته أول مرة لم تحبه بسبب لونه، لكنها أحبته بعد أن اكتشفت اختلافه وتميزه عن باقي العصافير "لن تصدقي، كنت أبكي في يوم بجوار النافذة وبدأت أتكلم معه وفوجئت أنني كلما توقفت عن الحكي يزقزق لي وكأنه يقول لي أكملي". قالت فلم أبدِ دهشة كبيرة، فبدأت تناديه باسمه، وكان يصوصو في كل مرة بنفس طريقتها في مناداته وكأنه يكرر الاسم خلفها، أحببته حينها وطلبت منها أن تخرجه لي لأمسكه.

أخرجته من القفص وأمسكته لي وهي تسألني، إن كنت أستطيع حمله دون خوف، كانت المرة الأولى التي ألمس فيها عصفورًا في حياتي، وبمجرد أن أمسكت به وشعرت بنبضاته وارتجافه حتى ارتعشت وتركته من يدي.

طار "كوكو" ووقف على لمبة كانت معلقة فوق الدولاب، فوقفت ياسمين وهي تضحك وتقول "انزل يا كوكو"، اطمأننت حين وجدتها تضحك، واقترحت عليها أن أحضر عصا المقشة لنقربها منه، حتى يقف عليها وننزله، فهزت رأسها موافقة، لكني حين عدت بالعصا لم أجده في مكانه، لكني وجدت ياسمين تحرك الدولاب، لتحمل كوكو الذي كان راقدًا خلفه بدون حراك.

بدأت ياسمين تهزه بأصابعها بهدوء أول الأمر، لكنه لم يصدر أية حركة أو زقزقة، فبدأت في الصراخ والبكاء وهي تنادي اسمه، حتى جاءت خالتي وزوجها إلى حجرتها في فزع، ليكتشفا الأمر، حاولا تهدئتها لكنها ظلت تصرخ "كوكو مات.. كوكو مات".

لم أكن أفهم ما حدث له حتى قالت ياسمين إن حرارة اللمبة لسعته، فسقط من تلك المسافة المرتفعة على الأرض، دون أن يتمكن من الطيران خلف الدولاب، فمات، قالت ذلك وهي تبكي وتصرخ، اقترحت على خالتي أن نشغل قرآنا، لكنها لم ترد عليّ، بل تركتنا وخرجت فجأة من الغرفة، وحين ذهبت لها وجدتها

تضحك "خرجت حتى لا أضحك أمام ياسمين، نحن لا نشغل قرآنًا على العصافير حين تموت". قالت لي ودخلت ثانية إلى الحجرة قبل أن أخبرها أنني كنت أقصد أن نشغل قرآنًا لتهدئة ياسمين.

بدأت ياسمين تهدأ قليلًا حين أخذ زوج خالتي "كوكو" خارجًا، لكنها ظلت تبكي وهي تطلب مني بين حين وآخر أن أذهب لأطل عليه "ربما لم يمت" تقول ذلك ببعض الأمل، فأذهب وأعود دون أن أقول شيئًا، فتدس رأسها في المخدة وتكمل بكاءها.

ظلت ياسمين هكذا نحو ساعتين، قبل أن تسترخي وتنام في مكانها على الأريكة وهي تحتضن المخدة، غطتها خالتي وطلبت مني أن أبقى بجوارها، وذهبت لتنام، لم أشعر برغبة في النوم، كنت أشعر بالذنب بعد أن فكرت أنني السبب في موت "كوكو"، وتساءلت ما إذا كانت ستكرهني ياسمين بسببه، ثم شعرت فجأة بالغيظ والغضب من هذا العصفور الذي أفسد عليّ كل ما حلمت به طوال الليل في اليوم السابق، وربما يتسبب في عدم مبيتي مرة أخرى عندهم.

زاد غضبي منه حين نظرت إلى الطاولة ووجدت هاتف ياسمين موضوعًا عليها، فتذكرت أنني لم ألعب به حتى شعرت برغبة في لمسه، فتوجهت ناحيته وبدأت أضغط على أزراره متجنبة زر الاتصال، فكرت أن ياسمين لن تكتشف أنني لعبت بهاتفها إذا لم

أتصل بأحد، لكني تركته حين وجدت الأمر مملًا بعدما لم أتمكن من الوصول إلى الألعاب، فدخلت إلى الفراش حينها بخيبة أمل.

استيقظت من النوم قبل ياسمين، خرجت إلى الصالة ولم أجد "كوكو"، كانت خالتي تشاهد أحد برامج الطبخ، سألتها عنه فأخبرتني أن العسكري أخذه ليدفنه، حينها فقط بدأت أدرك أنه مات، فوجوده بداخل القفص لم يكن يشعرني بذلك بشكل كامل، لحظتها شعرت بالحزن الشديد تجاهه.

جلست بجوار خالتي أشاهد معها البرنامج في صمت، كانت تتحدث من حين لآخر وتخبرني بأن الأمر عادي، وأن عصافير كثيرة تموت كل يوم، ولكن ياسمين تأثرت بموت "كوكو" لأنه كان عزيزًا عليها، "يومان وتنساه" اطمأننت لجملتها، وفكرت أنه يمكنني المبيت لديهم مرة أخرى بعد أن يمر اليومان.

ظل الجو هادئًا حتى استيقظت ياسمين، فوجئت بها تخرج إلى الصالة وتقف أمامي وتنظر لي نظرة غضب أكثر منها نظرة حزن، بادرت بالقول "لم أكن أقصد تركه من يدي، أنا آسفة..." لكنها قاطعتني قائلة "هل أمسكتِ هاتفي؟"، علت نبضات قلبي وهززت رأسي بالنفي، فقالت لي "أنتِ كاذبة" قاطعتها خالتي لتوقفها، لكنها أكملت "الهانم تسببت في نفاد رصيدي"، وأخذت تشرح أنني ضغطت على أحد أزرار الاتصال السريع الذي كان

مضبوطًا على الاتصال بإحدى صديقاتها في السعودية، ومن سوء حظي أن صديقتها أجابت الاتصال، حتى نفد رصيد ياسمين.

بعد أن أنهت كلامها نظرت لي وقالت "لماذا جئتِ؟ تسببتِ في موت كوكو، وفي نفاد رصيدي، أنا أكرهك.. أكرهك.. ليتكِ لم تأتِ!".

بدأتُ في البكاء لكنها لم تلتفت إليَّ، بل تركتني ودخلت إلى حجرتها وأغلقت الباب بعنف، حاولت خالتي أن تهدئني وتقول لي "لا تتضايقي منها، هي غاضبة الآن وسوف تهدأ فيما بعد"، لكنني لم أتوقف عن البكاء، ارتفع صوت الهاتف بنطق رقمنا حينها، فطلبت مني ألا أخبر والدتي بأي شيء، ثم أجابتها وقالت لها بأنني لم أستيقظ من النوم بعد.

انتظرتها حتى أنهت مكالمتها ودخلت إلى حجرتها، وعاودت الاتصال بوالدتي سرًا لأطلب منها بصوت منخفض أن تأتي لتعيدني إلى منزلنا.

# مملكة البُكم

ماتت زوجة الملك وهي تضع مولودها، ولم يخفف من حزنه عليها سوى أن المولود كان ذكرًا، واسى نفسه بأنها تركت له من يتسلم راية الحكم منه، لذا لم يتزوج من بعدها وقرر أن يقضي أغلب وقته مع طفله، ورغب بشدة فى أن يكون بجواره حين يبدأ في النطق، وأن يسمعه وهو يقول "أبي"، حلم كثيرًا بسماع تلك الكلمة منه، لكن مضى عامان دون أن يتفوه الطفل بأي شيء.

ذات صباح تأمل الملك ابنه طويلًا، ثم أرسل في طلب الطبيب، قال له الطبيب إن ابنه لديه مشكلة في لسانه ولن يستطيع الكلام

بسببها، ثار الملك وسب الطبيب، قائلًا إن ولي العهد لا يمكن أن يكون أبكم، ثم أمره بأن يجد حلًا للأمر وإلا قتله، خاف الطبيب من العقاب، فكر مليًا قبل أن يجد نجاة لنفسه "حسنًا، يمكننا تبديل لسانه بآخر"، "ومن أين نحصل على اللسان الآخر؟" سأل الملك، فتنهد الطبيب بارتياح، لأن الحل نال الإعجاب وإلا لما كان الملك سأل عن كيفية تنفيذه، أجاب "نحتاج إلى قطع لسان أحدهم يا مولاي"، قال الملك "اقطع لسان أي شخص، المهم أن أسمع طفلي يتكلم".

فكر الطبيب بعض الوقت ثم قال: "ليس أي شخص، بل يجب أن يكون طفلًا في نفس العمر، وإلا لنطق بما لا يجوز لمن في مثل سنه".. "حسنًا، أحضر لي لسان طفل بدأ في نطق كلمة "أبي"، أريد طفلًا يحب أباه ولا يتوقف عن مناداته" قال الملك، كاد الطبيب أن ينحني ليحيي مولاه قبل أن يغادر، إلا أنه تذكر أمرًا "مولاي، هناك ما يجب أن أخبرك به قبل أن نبدأ في أي شيء، اللسان لن يكبر مع الطفل، لذلك يجب تغييره بلسان أكبر كل عام" ظن الطبيب أن هذا الأمر سيردع الملك عن قطع الألسنة، إلا أنه فوجئ بقهقهته "ما أجمل أن أغير لسان ابني كل عام، وأسمع منه ما أحب سماعه دومًا، ليس هناك أب محظوظ أكثر مني" كان الملك سعيدًا جدًا بما يقوله، ولم ينتبه إلى ملامح الطبيب الفزعة، بعد أن اكتشف فجأة بشاعة اقتراحه.

تساءل الملك عن بعض الأشياء، إلا أن الطبيب عجز عن الإجابة، فأدرك أن هناك بعض الأمور التي يجب أن يساعده فيها شخص آخر غير الطبيب، الذي لا يفهم سوى في الألسنة، استدعى الملك كبير مستشاريه، فاقترح أن يبقى الأمر سرًا، وذلك بقطع لسان أسرة كل طفل يُقطع لسانه، حتى لا يتفوه أحد بأي شيء، بهت الطبيب متسائلًا: "وأين سندفن ألسنة الناس؟"، فكر المستشار مليًا "حسنًا ألسنة ولي العهد، يجب دفنها في حديقة القصر بالطبع، لأنها ستصير ألسنة ملكية، لها حق الدفن في مقابر العائلة". "وماذا عن ألسنة الأسر؟" تساءل الطبيب. "تدفنها في الحديقة الخلفية لبيت الخدم" قال المستشار بلا مبالاة، فابتسم الملك وأبدى سعادته بذهن كبير مستشاريه، وطلب منه أن يقترح كيفية جلب الأطفال ليختار من بينهم، أجاب بسرعة وكأنه كان مستعدًا للسؤال: "يمكننا إقامة حفل للأطفال ذوي العامين، بمناسبة مرور سنتين على مولد ولي العهد، ويمكن أن نكرر الحفل سنويًا، وفي كل عام يأتي أطفال من عمره، لتختار جلالتك من بينهم أفضل الألسنة" ابتسم الملك وطلب منهم الانصراف بعد أن أمر كبير مستشاريه بالإعداد للحفل، وأمر الطبيب بالحضور، وجلب كافة الأدوات اللازمة للعملية لإجرائها بعد أن يختار الملك الطفل المناسب.

ظل الملك يراقب الأطفال خلال الحفل، حتى اختار أجمل صوت نطق بكلمة "أبي" من بينهم، ثم طلب من كبير مستشاريه أن

يدعو أسـرة الطفل للبقاء بعد انتهاء الحفل، فأخبرهم أن الملك قرر أن يمنحهم هدية وطلـب منهم ألا يخبروا أحدًا، وإلا غضب الملك عليهـم، فرح أهل الطفل بأن الملك اصطفاهم، وخافوا أن يتفاخروا بذلـك حتى لا يبلغ إلى علم الملك أنهم فعلوا ذلك، ويعاقبهم بدلاً من أن يمنحهم هدية، فاحتفظوا بالسـر وبالسعادة إلى نهاية الحفل، لكن حين رحل الجميع ودخل الطبيب عليهم الغرفة، بدأوا في اكتشـاف الفـخ، صرخوا في بداية الأمر، لكن بعـد لحظات لم يعد بإمكانهم الصراخ أو التفوه بأي شيء.

فرح الملك بشدة حين نطق طفله كلمة "أبي"، بمجرد أن استيقظ في اليوم التالي، ومن كثرة سعادته أمر باعتبار هذا اليوم عيدًا وإجازة، فرح الشعب بهذا الأمر دون أن يعرفوا ماهية المناسبة، لكن الأخبار تواردت بين الناس بأن ولي العهد كبر، ونطق أول كلماته هذا اليوم، فدعا الناس للطفل، وتمنوا ألا يُحرم من الكلام أبدًا.

لاحظ الملك بعد عدة أشـهر أن من في مثل عمر طفله، صاروا ينطقون كلامًا آخر غير "أبي"، التي لا ينطق ابنه غيرها، فغضب بشدة وأمر باسـتدعاء الطبيب، حين جاء الطبيب سبه الملك وشكا له أن الأطفال يكبرون وابنه لا، وأنه سـينزل به العقاب لأنه حتمًا أخطأ في شيء وهو يستبدل اللسـانين، فزع الطبيب وأخبر الملك

على الفور "لم أخطئ في شـــيء، لكن اللسان لا يكبر كما أخبرتك يا مولاي، اللســـان ينطق مـــا تعلمه وقاله صاحبـــه قبل أن يغادر شفاهه".

ألقى الملك بالكأس التي كان يشرب بها على الأرض في عنف، نهض من مكانه واتجه ناحية الطبيب الذي كان يرتعش من الخوف، صرخ الملك في وجهه: "أريد حلًا" لم يجد الطبيب ما يقوله سوى "نحتاج لسان طفل أكبر...".

اقترح كبير المستشارين حينها أن يبدلوا لسان ولي العهد بلسان أكبر منه بخمس سنوات، "سيكبر حينها، ولن نحتاج إلى تغييره كل عام" أعجب الملك بهذه الفكرة، لكن الطبيب اعترض عليها "سينطق ولي العهد بأشياء أكبر من عمره" قاطعه كبير المستشارين "ولي العهد من سلالة ملكية، يجب أن يكون أذكى من أقرانه بالطبع" سعد الملك برأي مستشاره جدًا، وشعر أنه محظوظ لأن طفله سيكون أذكى طفل في المملكة.

ظل الملك سعيدًا لعدة أيام، بعد أن صار طفله يفوق كل أقرانه، لكن الطفل استيقظ ذات يوم مكتئبًا ولا يرغب في القيام من فراشه، كما رفض الحديث والطعام، اســـتدعى الملك الطبيب، الذي طلب الانفراد بولي العهد، شـــكا الطفل من أنه لم يعد لديه أصدقاء، لأنه لا يفهم ما يقوله أقرانه، "ولماذا لا تلعب مع من يكبرونك؟" ســـأله

الطبيب محاولًا أن يساعده على إيجاد حل، لكن الطفل أجابه ببراءة "لأني لم أكبر بعد". أدرك الطبيب أن ما خشي منه قد وقع بالفعل، أخبر الملك أن طفله يعاني من اكتئاب بسبب أنه يملك لسانًا أكبر منه.

خشي كبير المستشارين من أن يعاقبه الملك حين سمع بما حل بالطفل، فبادر باقتراح "يمكننا إصلاح الأمر، بتغيير لسان ولي العهد كل شهر، وبذلك ينمو بشكل طبيعي، فلا يتأخر عن أقرانه، ولا يتقدم عنهم". فزع الطبيب من هذا الاقتراح الذي يعني قطع لسان كل شهر، "ليس لسانًا واحدًا، بل ألسنة أسرة كاملة"! فكر الطبيب برعب، لكنه لم يستطع الاعتراض، خاصة حين أصدر الملك أوامره "فلتقيموا حفلًا شهريًا بدلًا من سنويًا".

صار الطفل يكبر بشكل طبيعي منذ ذلك الحين، لكنه كلما كبر، كان عدد البُكم يتزايد في المملكة، حتى صارت تعرف بين الممالك الأخرى باسم مملكة البُكم، بوصول الطفل إلى عمر السادسة عشرة.

تناهى إلى سمع الملك، أن باقي الممالك صارت تتندر على مملكتهم، وقالوا إنهم لن يعرفوا كيف يتحدثون مع ولي عهد أبكم في المستقبل، غضب الملك بشدة حين سمع بهذا الأمر، كان قد تغاضى عن هذه التسمية التي أُطلقت على مملكته، لكنه لم يستطع التغاضي

عـــن أن ينعت أحدهم ابنه وولي العهد بأنه أبكم، خاصة وأنه امتلك أكبر عدد من الألسنة على الإطلاق في حياة البشرية.

اســـتدعى الملك مستشـــاره، وطلب منه أن يفكر في حل، يثبت للجميع أن ولي العهد يتحدث بطلاقة، اقترح المستشـــار أن يقيموا حفلا يدعون فيه باقي الممالك بمناســـبة بلوغ ولي العهد "يجب أن يتحدث ولي العهد بطلاقة أمام الجميع خلالها" قال المستشار.

فكر الملك مليًا، ثم طلب من مستشـــاره أن يرتب للحفل، ويدعو باقي الممالك، ويدعو الشـــعب أيضًـــا للحضور، حتى يعلو صوت تصفيقهـــم، وهتافات من بقى منهم بلســـانه، فيتغيـــر لقب المملكة، ويصدق الملوك أن ما وصل إليهم كانت شائعات مغرضة.

قبل أن ينحني المستشـــار ليغادر، اقترح علـــى الملك أن يجدد لسان ولي العهد، وأن يبدل لسانه الحالي بلسان شاعر، حتى ينطلق في الحديث ويرتجل إذا ما ســـأله أحدهم أي شيء، أثنى الملك على كلامه، وطالبه بسرعة تحضير الحفل.

طلـــب الملك من الطبيب، تغيير لســـان ابنه صبـــاح ليلة الحفل مباشـــرة، حتى يمتلك لسانًا جديدًا، يتفوه بأفضل ما لديه في الحفل، لم يجد الملك الوقت للتحدث مع ابنه، كان مشـــغولًا باستضافة باقي الملـــوك والتواجد معهم، ترك تلك المهمة لكبير مستشـــاريه، الذي ظل يؤكد على ولي العهد أن ينطلق في الحديث ولا يهتم أو يخجل

مـــن باقي الملـــوك "أثبت لهم أنك قادر علـــى التحدث أفضل منهم جميعًا". ظل ولي العهد يهز رأســـه دون أن ينطق بأي كلمة، كانت عينه غائرة تمامًا، وكأن اللسان الجديد قد سحبها للداخل.

بدأ الحفل بعدد من الرقصات التي اختارها الملك بعناية، لتعكس الحالة الفنية لمملكته أمام الممالك الأخرى، ثم جاء دور كلمة الملك، فقام ليلقي خطبة حرص على أن تكون صغيرة، حتى يترك الفرصة لابنه للحديث المطول، استدعى ابنه إلى المنصة، وقف الفتى مكان والده، لكنه ظل صامتًا، ضحك ملوك باقي الممالك، فغضب الملك ولكز ابنه ثم صفق له وأمر الشعب أن يصفق لولي العهد حتى يبدأ كلامه، صفق الرعية وبدأ بعضهم ينادون باسم ولي العهد لتشجيعه، بألسنة لم تغادر فمهم.

حمســـت تلك الأصوات الفتى علـــى النطق، فقال بصوت عال: "يســـقط الملك" توقفت الأيادي عن التصفيق، ليتأكدوا مما سمعوه، بهـــت الملك ووقف في مكانه ذاهلًا، وظل باقي الملوك في أماكنهم مندهشين، لا يفهمون ما يحدث.

نطق الفتى مرة أخرى "يســـقط الملك"، ولم يســـتطع أن يوقف لسانه رغم لكزات الملك وصفعاته، لم يجرؤ أصحاب الألسنة على النطق خلفه، حتى لا ينالوا عقاب الملك، لكن من لا يملكون ألسنتهم لم يجدوا أمامهم ســـوى ترديد الكلمـــة بداخلهم، وهم يدبدبون على الأرض في وقت واحد.

# شجرة ليمون

"ليس هنا..بل هناك" تقول السيدة لطفلها صباح كل يوم حين يرش على وجهي الماء، تخبره أن سقي الأشجار يكون عند جذورها، وليس في جذعها، لكن الطفل لا يسمع كلامها ويعود ليغسل وجهي صباح كل يوم، كما كنت أفعل قبل أن أصبح شجرة.

في زمن بعيد قرأت خبرًا عن امرأة سويدية تنتظر موافقة الدولة لكي تصير شـجرة "توت" بعد موتها، وأن يصير زوجها المتوفي شجرة "سرو" كما حلما معًا، قرأت الخبر بصوت عالٍ، ثم صرخت بحماس وأوصيت أمي "لا تدفنوني.. بل ازرعوني مثلهما" شهقت

أمي" بعد الشر" لكن أختي ليلى ابتسمت وسألتني: أية شجرة؟

سرحت قليلًا قبل أن أخبرها "شجرة ليمون".. "لماذا؟" قالت ليلى، بينما كانت والدتي تتابعنا باستنكار ولا تفهم لماذا أستدعي الموت بمزحة سخيفة، ولماذا تجاريني ليلى في هذا السخف، قلت ما أردت أن تفهمه أمي "لا أريد أن ينقطع عطري بعد الموت"، وأخفيت ما ستفهمه ليلى مهما داريته "أود أن أجذب الناس برائحتي، ثم إذا ما جاءوا لقطف ثماري جرحتهم بشوكي، جرح خفيف يذكرهم بي، ويعودون من أجله، وليس من أجل الليمون فحسب".

لا أذكر ما حدث لينفذوا وصيتي، كل ما أتذكره أنني عشت ظلامًا طويلًا في رحم الأرض، قبل أن أنبت ذات صباح وأرى سماء، وأحلم أن أكبر لأرى البيوت من حولي، ثم أطعمتني أيادٍ لم أر وجوه أصحابها، وحين صرت طويلة كفاية، لم أرَ بيتنا ولم أتعرف في الوجوه على أهلي، ربما كان خطئي أنني لم أخبر ليلى بالمكان الذي أود أن أُزرع به، كنا قد ضحكنا بعد أن قالت إنها لن تشرب عصير ليمون ولن تأكل طعامًا أوضع فوقه أبدًا، ضحكنا كثيرًا لكن والدتي لم تضحك، ثم نسينا الأمر، لكنني رحلت قبل أن أتم وصيتي.

لماذا لم يخترعوا هذا الأمر قبل أن يموت والدي، لم أكن لأقبل أن يزرعه غيري، كنت سأزرعه بنفسي وأسقيه كل يوم حتى أرى

البرتقال يثمر منه، الفاكهة التي أحبها والتي أثق انه كان سيوصي بأن يصيرها، لو كانوا اخترعوا الأمر فقط قبل أن يموت.. لنبت في الأرض قبلي، ورعاني حيث نبتُ ورأيتُ نورًا ولم أجد من أتكلم معه.

لو أنك معي يا أبي لكنت حدثتني باللغة التي أفهمها، الأشجار هنا يا أبي تهمس ظنًا أنني لا أسمعها وتقول"بها شيء غريب، شيء لا يشبهنا"، والأطفال حين يقولون نكتة وتهتز أغصاني ضحكًا يصيحون "بها شيء غريب، شيء يشبهنا!"، الأطفال يضحكونني ويفهموني أكثر، هذا الطفل الذي يغسل وجهي كل يوم لا أريده أن يكبر ويفهم أن الأشجار تُسقى من الجذور، لا أريده أن يعاملني كما الكبار، بل أريده أن يظل طفلًا يسقيني كما يدله قلبه.

المحـــه في الصباح يحدق بي طويلًا قبـــل أن يُلقي بمياهه على جســـدي، ووجهي الموزع في كل جزء مني، في زمان مضى كان لـــكل عضو من أعضائي مكانٌ خـــاصٌ به، لكن حدث أن اختلطت الأعضاء حين تفتت جســـدي، وصارت أجزائي موزعة، لي جزء مـــن وجهي في الجذور وجزء آخر في الجذع وثالث في الأغصان ورابـــع في الأوراق، هذا الطفل يقذف بالمياه كل مرة في جزء من وجهي، ولا يمكنني تصديـــق أنه لا يحس بي، ذات مرة كان يأكل حلوى أسفل ظلي، نظر لي فجأة ورفع حلوته أمام جزء من شفتي،

وقال "خذي"، اهتز جزءٌ من قلبي في الغصون فتأرجحت بشـــدة، نظـــر إلى أعلى ثم نظر إلى مكان به عينـــي، قبل أن تناديه والدته "ادخل بســـرعة، الرياح شديدة في الخارج"، هل كان على قلبي أن يرتج بتلك الشدة فيلفت نظر المرأة إلينا؟!.

في الصباح تشغلني أحاديث الأشجار وزقزقة العصافير، ولعب الأطفال وثرثرة الناس، وفي المســـاء أحيانًا ما يجلس عشـــاق في كنفي، يكشـــفون أسرارهم لي، يهتز قلبي بعنف إذا ما سمعت كلمة حب كاذبة، تسقط أوراقي مثلما كانت تسقط بعض خصلات شعري في زمن مضى حين أحزن، لكن قلبي نفســـه يهز الأغصان بشـــدة حين يسمع كلمات حب صادقة، ويهدي المحبين ثمرة ليمون، أرسلها لهم لعلهم يتذكرون أن يقتسموا الحب بينهم بالنصف، حتى لا يأخذ أحدهم جزءًا أكبر، ويشعر بمرارة أكثر من الآخر.

في الليل ينام الطفل والأشجار والعصافير، لا تعبر أمامي سوى بعـــض الأقدام التي تخفت تدريجيًا كلمـــا أوغل الليل حتى تختفي، يتركني الجميع لأرقي، فناجين القهوة التي كنت أشربها فيما مضى لم يذهب تأثيرها عن جســـدي حتى الآن، رحل كل شـــيء وبقيت القهوة!

في تلك اللحظات تتركني الأصوات فاســـتمع إلى داخلي وأفكر "أين ذهب أحبائي؟"، مات أبي قبل أن يخترعوا الدفن البيني، فأين

ذهب الآخـــرون؟ هل ماتت والدتي ورفضـــت أن يزرعها أحد؟، وهل ماتت ليلى؟ وإذا كانت قد ماتت فلماذا لم توص إذن بأن تُزرع بجواري لنؤنس بعضنا في ليالي الشتاء؟

فـــي منزلنا كانت هناك مدفأة وفشـــار وتليفزيون وأفلام أجنبية نســـهر معًا لنشـــاهدها، هنا أيضًا توجد أفلام وعروض يا ليلى، لا تخافـــي من الملل وتعالي لنؤنس بعضنا، النجوم تقدم عروضًا ليلية أسهر وحدي لأشاهدها وأتذكرك وأبتســـم، ثم أبكي، لكنني أحاول أن أبكي قليلًا حتى لا تســـقط أوراقـــي من الحزن، لأنه ما من أحد سيشتري لي مقويات تمنع سقوط أوراقي، مثلما كنا نتبع الوصفات ســـويًا لنقوي شعرنا ونمنعه من الســـقوط، ما هذا الذي أقوله؟.. لا أريدك أن تأتي يا ليلى، استمتعي بحياتك يا حبيبتي، استمتعي حتى النهاية لتحكي لي قصصًا عن حبيبكِ وأبنائك وأحفادك.

ســـأنتظرتك بعد عمـــر طويل لتحكي لي عن هـــذا الذي أحببته وبكيتِ في حضنه كلما تذكرتيني، ســـأنتظرك حتى أحكي لكِ أيضًا عن سري الذي أخفيته عنكِ حين سألتيني يومًا "مع من كنتِ تتحدثين في الهاتف؟" لم يكن سرًا كبيرًا يا ليلى، كان شابًا أحببته كثيرًا، لكنه أرهقنـــي جدًا جدًا يا أختي، كان يمنعنـــي من الحلم دومًا، ويرفض أن يحلم معي بأن نصير شـــجرتين، قلت له عن حلمي بعد الموت وطلبـــت منه أن يُزرع إلى جواري، فكـــرت أن أتنازل عن حلمي

بأن أصير شـــجرة ليمون من أجل أن أكون شـــجرة فراولة ويكون هو شـــجرة موز، حتى إذا قطف أحدٌ ثمارنا مزجنا معًا في عصير لنتقابل دومًا داخل كوب واحد، لكنه سخر مني وقال عني مجنونة، مثلما كان يصفني دومًا حين أريد شيئًا لا يعجبه.

إذا عرفـــتِ أين ذهب فلا تخبريني حيـــن تأتي، أتوقع أنه فضل البقاء أسفل الأرض، حيث يزوره الناس كل عيد، أنا أيضًا يزورني الناس في الأعياد، لكنهم لا يأتون إليَّ في المناســـبات فحســـب، بل يأتـــون كل يـــوم، يقفون عند قدمي وقت الظهيـــرة ليحتموا بي من الشـــمس، وينامون ليلًا في بعض الأحيان ليؤنسونني في وحدتي، وهـــذا ما كنت أحلم به يا ليلى، أنتِ الوحيدة التي فهمتيني يا أختي، كنـــتِ تدركين مدى خوفي من الظلام ومـــن الأماكن المغلقة على أجساد يتركها أحباؤها بعد أن يقذفوا التراب عليها، وتلوكها الديدان حتى تتحول إلى هياكل عظمية، تدركين يا حبيبتي مدى رعبي.

فـــي زمان ما كنتِ تخيفنني قبل النوم بقصص الأشـــباح وكنت لا أنـــام إلا وأنا أغطي وجهي حتى لا يعثر عليَّ أي شـــبح، وحين كبرنا وتقاربنا صرتِ أكثر حنانًا وتوقفتِ عن إخافتي، لكني صرت أخشـــى الأماكن المغلقة، أرفع الغطـــاء عن وجهي حتى لا أختنق، لا أحب أية أغطية تكتم أنفاســـي، أو أغطية تكتم أحلامي، أحب أن

تنبـــت أحلامي وتكبر في البراح، لن أكذب عليكِ يا ليلى وأقول لكِ إن الأشجار هنا تعرف هذا البراح، أقول لكِ صراحة إنها لا تختلف عمن عرفناهم حولنا، لا يتعدى حلمهم اليوم الذي يعيشونه، الأشجار هنا تســتيقظ وتأكل وتنام في مواعيــد ثابتة، كما أنها لا ترقص إلا حين تهزها الريح، أتدركين المصيبة! إنها لا ترقص وحدها، لا تهز أغصانهـــا وتصنع من أوراقها نغمًا إلا إذا عبرها الهواء!، لكني لا أفعل مثلهم، مازلت أحب الرقص والغناء، وأرقص في كل الأوقات كما كنا نفعل.

تعالي يا اختي لنرقص سويًا، ونستمتع معًا بتدليك النمل المجاني لأجســادنا كل يوم، لا..لا تأتي الآن، بل عيشي حياتك إلى مداها، واحفظـــي كل الحواديت، حتى نتســامر حين تأتيــن، وحتى تأتي ســأظل أحلم أحلامًا كثيرة، سأحلم أن يظل هذا الطفل يغسل وجهي ويمنحني حلوى حين يكبر، ســأحلم ألا يعطل الخريف أوراقي عن الرقص، وأن يختار أحدهم أن يُزرع كشجرة موز بجواري، لنتبادل حبًا حلمت به فيما مضى أســفل القمر، هراء ياليلى كل ما أقوله.. أتعرفين مــاذا أريد حقًا؟ أريدك أن تأتــي لتحتضنيني الآن، حتى لو لن تتحولي إلى شــجرة، تعالي زوريني واحضنيني برفق حتى لا تبكينـــي وتقع أوراقي، فأنا أخاف ياليلــى، أخاف كثيرًا أن تذبل أوراقي وتقع في غير أوانها.

# ابتسامة معلقة بالشفاه

قفزت القدمان بشـــدة فاهتز الجســـد كله مرات متتالية، دون أن تعرفا حقًا لماذا عليهما القيام بهذه القفزات في تلك الســـاعة، تساءل بقية أعضاء الجسد عن السعادة المباغتة التي جعلت صاحبتها تقفز فجأة.

قالت العين بزهو من يعرف الأشياء قبل الآخرين: "لديها موعد مع شـــخص أرتني إياه عدة مرات من قبل"، ســـأل كف اليد بلهفة: "هل هو ذات الشـــخص الذي لامستني شـــفتاه المرة الماضية؟".. "نعم هو نفسه الذي..." قاطعتها القدمان قبل أن تكمل جملتها: "أي

نـــوع من المواعيد هذا، أخبريني أرجوكِ، أود أن أعرف أي حذاء سأقضي فيه الوقت القادم؟".. أجابت العينان "قالا كلامًا كثيرًا جدًا في رســـائلهما.. لا أتذكر منه ســـوى أنهما سيتناولان العشاء معًا.. كانت هناك كلمة ســـهرة أيضًا"، نطق الصدر والمؤخرة في وقت واحد "سهرة؟؟".

علقت الشـــفاه التي لا تتحرك ســـوى بأمر من صاحبتها: "نعلم جميعًا أنكما تسعدان كثيرًا بالسهرات"، قالت المؤخرة أولًا: "نعم.. لا شيء يشعرني بالجمال سواها، فأبرز خلالها في فستان يعيد لي مكانتي، بدلًا من تلك البنطلونات التي لا تفرق بيني وبين مؤخرات الرجـــال، لا أعرف كيف أهون عليها أن تحشـــرني داخل بنطلون معظم الأيـــام، ولا تحررني ســـوى أوقات الســـهرات والحفلات فحسب!".

قال الصدر: "أنا أيضًا أحبها وأحب الفساتين التي ترتديها الفتاة خلالها، فتلامسني النسمات حين ينظر جزء مني للخارج عبر فتحة صغيرة، فأشـــعر وكأن الهواء الذي يرفعني ويهبط بي ليس هواءً عاديًا، أحس وكأني أتنفس العالم"، قالت البطن: "أنا أيضًا أحب تلك السهرات، لأنني أمتلئ بطعام مختلف غير هذا المطهو في المنزل، لكنني لا أحب الفســـتان كثيرًا، أشـــعر أنه يبرزني للأمام أكثر مما ينبغي، وتضغط عليّ الفتاة كلما ارتدته، لتجبرني على الانســـحاب

نحـــو الداخل، لإخفـــاء بروزي رغمًا عنـــي"، قاطعتها الأنف "لو توقفـــتِ عن الامتلاء بالطعام، لما برزتِ للأمام، أرجوكِ اصرخي بألم في الفتاة بأن تتوقف عن تمرير الطعام لكِ، بعد أن تكتفي منه، ولا تنجرفي خلف نهمها، حتى تتركي لي مســـاحة كافية لأســـحب الهواء، وأحس برائحة الأشـــياء من حولي، فكم تمتلئ الســـهرات بالعطور! اتركي لي مساحتي لأستنشقها جميعًا".

صـرخت القدم اليمنى: "جميعكم تحبون السهرات إذن، ولا أحد يشعر بمعاناتي، أنتم لا تعرفون الألم الذي يسببه لي هذا الحذاء العالي، الذي ترتديه الفتاة خلالها، فيبقيني مائلةً وبعيدةً عن الأرض، ما أسوأ أن أظل أقفز وأرقص به، بينما سنه يكاد يخترق كعبي.. كم أكره السهرات!".

خلعت الفتاة ملابس البيت الكثيرة التي يستلزمها الشتاء، وارتدت بدلًا منها فستانًا واحدًا. تسرب البرد إلى أعضاء الجسد، فعلقت القدمان: "قلت لكم.. هذه هي السهرة، كعب عال وملابس خفيفة في عز الشتاء!"، قالت المؤخرة بلامبالاة: "لا يهمني البرد"، وافقها الصدر: "المهم أن تشعر الفتاة بأهميتنا وهي ترتدي الفستان"، صمتت القدمان في غيظ استعدادًا للدخول في هذا الحذاء ذي الكعب والرقبة، وكانت آخر كلماتها: "سأشعر بالدفـء هنا في الداخل أكثر منكم، استمتعوا بالسهرة في البرد".

قبل منتصف الليل بقليل عادت الفتاة، وبمجرد أن تجاوزت باب العمارة، خلعت حذاءها وصعدت السلالم حافية، قالت القدم اليمنى في ألم: "أخيرًا أحست بي، لا أكاد أشعر بأصابعي من شدة الوجع، كما أن لدي جرحًا في أعلى كعبي.. ليت الفتاة تعلم وتتوقف عن ارتداء هذا الحذاء"، قالت القدم الأخرى: "لدي أيضًا جرح في أعلى الكعب، ولا أستطيع لمس الأرض بسهولة، المشكلة أنها تعرف آلامنا جيدًا، لكنها رغم ذلك تعاود ارتداءه في كل سهرة!".

دخلت الفتاة متسللة إلى غرفتها، متجاوزة باب المطبخ، فصرخت البطن: "أليس من طعام هنا أيضًا، أريد أن آكل أي شيء"، ثم وجهت كلامها للشفاه: "كم صرخت بكِ طوال السهرة أن تتوقفي عن الحديث وتمرري لي الطعام، لكنك لم تفعلي شيئًا سوى الكلام، حتى في لحظات الصمت، اكتفيتِ بالابتسام فحسب، كيف أنام جائعة الآن؟!".

لم تقل الشفاه شيئًا، اكتفت بالابتسامة التي ظلت معلقة فوقها منذ أن بدأت السهرة، لم تعلق الأنف أيضًا، خشيت أن يذهب الكلام برائحة عطره التي امتلأت بها، ارتمى الجسد على الفراش، سحب كف اليد اليمنى الغطاء على كل الجسد، وهو يتساءل: "هل من لقاء آخر مع شفاه هذا الرجل؟"، علقت الأذن بزهو تلك المرة: "حين يتصل بها في الغد سأخبركم بكل شيء"، فقالت الشفاه: "متى يأتي

هذا الغد، أود أن أقول الكثير من الأشياء...؟"، قاطعتها البطن: "متى يأتي حتى أجد ما يملأني، الطعام أولًا قبل أية أحاديث أرجوكِ". ثم طالبـــت العين بأن تطوي جفونها حتى يأتي الغد، لكن العين لم تكن ترغب في أن تسدل أهدابها على كل هذا الجمال الذي تراه حولها، نفس التفاصيل ونفس الأشياء، صارت أجمل بعد السهرة، لكنها في النهايـــة، تحت ضغط مطالبات باقـــي الأعضاء بالرغبة في بعض الراحة، اضطرت أن تطوي جفونها، آملة أن تراه في الحلم.

# عدة سنتيمترات فحسب

سأظل لسنوات طويلة أكره مادة الجغرافيا، وأنا أتساءل دومًا لما عليّ حفظ أحوال البلدان الجوية! لماذا لا تمطر السماء في الوقت الذي تحبه، وتبعث الشمس حرارتها حين تصيبها حمى الصيف وقتما تشاء!

كنت أكره الخرائط أيضًا، لم أستطع يومًا أن أملأ البلاد المرسومة فوقها بالكلمات أثناء الامتحانات، فكانت درجاتي تنخفض بسببها، لم أكن أفهم لماذا يضيقون العالم ويجعلونه في حجم ورقة، وأنا التي أرغب في أن يكبر معي هذا العالم كل عام، حتى تستوعب بلدانه شغفي للسفر.

حين تحدثنا للمرة الأولى عبر الإنترنت، لم أهتم كثيرًا بمكانك، أنت شخص بعيد يعيش في بلد آخر، ما الذي يعنيني في الأمر حقًا! لكن حين بدأت محادثاتنا تتحول تدريجيًا إلى عادة ليلية، وصار حكينا علاجًا يوميًا لما يفعله النهار بنا، أصبحت شخصًا قريبًا.. جدًا، لكن بقيَ شيءٌ لم يتغير وبات يعنيني حقًا.. أنك تعيش في بلد آخر.

تلك الليلة التي تبادلنا فيها كلمات الحب للمرة الأولى، لم أسمع أغانٍ رومانسية ولم أقرأ قصائد تعبر عما بداخلي، لكني فتحت خرائط لم أرها منذ سنوات بعيدة، لأعرف مكانك بالنسبة لي، تنهدت بارتياح حين قست المسافة بيننا، ووجدتها عدة سنتيمترات، أحببت الخرائط لأول مرة في حياتي، وفكرت في أن أول من رسمها في العالم، كان حتمًا يحب امرأة في بلاد أو قارة أخرى، وأراد أن يقرب المسافة بينهما بتلك الطريقة.

علقت خريطة فوق فراشي منذ تلك الليلة، كنت أحدق فيها قبيل النوم وحين أستيقظ، وحين أحكي لصديقاتي عنك ويخبرنني بقسوة بعدد الكيلومترات التي تفرق بيننا، كنت أذهب إلى خريطتي وأحدق فيها كثيرًا وأنا أطمئن نفسي "عدة سنتيمترات فحسب".

حتى حين كن يغظنني بقولهن: "البنات في بلده جميلات للغاية، حتمًا يراكِ أقل منهن جمالًا". كنت أحتمي بخريطتي، وأتنفس

الصعـــداء لأن بلـــدك يحتل بقعة صغيرة فوقهـــا، أقول "ربما يكن أجمل، لكنهن على الأقل لســـن كثيرات" أقنع نفســـي وأرتاح بتلك الطريقة.

لم أعد أمرر قنوات الأخبار كما كنت أفعل من قبل، بل صرت أتابع باهتمام نشرة الأحوال الجوية، أقول لك شتاؤك أقسى من شتائنا، فتخبرني أن الإرهاب أقسى من أي شيء، أحذرك من أن الثلج سيتساقط على مدينتك كما سمعت من النشرة، "تساقط الثلج أهون كثيرًا من سقوط القذائف" تقول لي، فأنتبه إلى ضرورة متابعة النشرة من بدايتها، مقتل 50 شخصًا في سقوط قذيفة هاون، كيف تعيش هناك؟ إرهابيون يعدمون شيعة بتهمة الردة.. لماذا تبقى عندك؟ إذا تركناها جميعًا فمن يبقى بها؟ تجيبني دومًا، فأعرف أنه لا مجال لتأتيني في المدى القريب.

أعوض غيابك الجســـدي بتخيـــل دائم لك، منـــذ أخبرتني عن طولك، وأنا أسأل كل أصدقائي عن أطوالهم، وحين يخبرني أحدهم بطـــول مقارب لك، أقف بجواره لأتخيل نفســـي إلى جوارك حين تأتـــي. تضحك حين أخبرك عن الأمر، وأنا أقول لك في غيظ إنني ســـأضطر إلى ارتداء أحذية بكعب دائمًا حين أسير بجوارك، لكنك تعلق قائلًا: "لن تحتاجي إلى ذلك سوى في الحفلات، غير ذلك أحب أن تسـيري بجواري بحرية، دون أن يتعبك شيء". أطمئن كثيرًا

لكلماتـــك، ليس لأنني لن أضطر إلى ارتـــداء كعب لا أحبه، ولكن لأنك تقر بأننا سنســـير معًا يومًا ما متجاورين، وســـنذهب معًا إلى حفلات، أتساءل بيني وبين نفسي بعد تنهيدة "متى"؟.

"غمضت عيوني خوفي للناس.. يشوفوك مخبى بعيوني"، صرت أضحك كلما سمعت فيروز تغني هذا المقطع، لأنني حتى لو أغمضت عيني تفضحني أشياء أخرى، كلهجتك التي صرت أتكلمها بتلقائية من كثرة ما تحدثني بها عبر "الفايبر"، أردد كلماتك "دخيل قلبك.. دخيل عيونك.. تقبريني".

حين سألتك في المرة الأولى عن معنى "تقبريني" أخبرتني أنها تعني أنك تحبني جدًا، اكتفيت بمعناها هذا ولم أفكر في معنى آخر، حتى أخبرتني صديقة لي أنها تعني رغبة قائلها في الموت قبل من يقولها له، حينها طلبت منك أن تتوقف عن قولها، ضحكت بشدة وقلت لي "نقولها في بلدنا بدون هذا التفكير"، ولم تتوقف عن قولها أبدًا.

لا.. بل توقفت عن قولها للأبد.. في ذلك اليوم الذي انتظرتك فيه ليلًا ولم تأتِ، ظننت أن الكهرباء قد انقطعت، كما يحدث كثيرًا لديكم، في اليوم التالي لم أجدك أيضًا، قال لي "الفايبر" إنك آخر مرة شوهدت فيها كانت منذ يومين، دخلت على صفحتك لأرى إن كنت نشرت شيئًا ما، لكني لم أر شيئًا جديدًا، وعندما عدت إليها

مرة أخرى بعد ساعات لمحت شيئًا غريبًا ورأيت عدة تعليقات غير مناسبة، أسفل صورة لك كنت نشرتها منذ عدة أيام، تعليقات تطلب لأحدهم الرحمة، لم أستوعب الأمر في البداية، ظلت عيني معلقة على صورتك عدة دقائق، وأنا أطلب منك أن تخبرهم بأن يكفوا عن هذا المزاح، لكنك لم تجب، أحضرت التعليقات من بدايتها، وجدت أحدهم يضع خبرًا في منتصفها، فدخلت عليه، لم يذكروا في الخبر اسمك ولم يأتوا بصورتك، فقط "مقتل 30 شخصًا في سقوط قذيفة هاون"، تساءلت حينها عن علاقتك بهذا الرقم.

لم أبكِ ليلتها، ظللت أسترجع صوتك وكلماتك، وأقول لنفسي "مجرد كابوس" سأستيقظ منه غدًا، لأجد رسالة منك على "الفايبر" أو "الفيس" أو أي وسيلة لعينة، وأصررت أن أجعلك تتوقف عن قول "تفبريني" حين تتكلم.

حين استيقظت في الصباح ونظرت إلى الخريطة، بكيت للمرة الأولى، نزعت الخريطة من على الحائط، لم أطق أن تبقى أمامي وأنت غير موجود بها، حتى أنني لا يمكنني توديعك للمرة الأخيرة مع أهلك وأصدقائك، كما لم أستطع رؤيتك قبل أن تغادرني، قطعتها مرات كثيرة بغضب شديد، وعاودني كرهي للخرائط مرة ثانية.

# الموت يريد أن أقبل اعتذاره

"لا بد أني أحلم.. ليس حلمًا بل كابوس.. سـأفيق منه الآن" ظل يردد تلك الكلمات بداخلـه، دون أن ينطقها وكأنه مقيد داخل حلم، فكثيرًا ما حلم بأنه يسـير عاريًـا دون أن يتمكن من إيجاد ملابس يرتديها، كمـا كان يحلم بأن جميع من حولـه يتعاملون معه على أنه ميـت، وحين يحاول أن يدور حولهـم ويرفع صوته ليخبرهم أنه حي، يجد الصوت محبوسًـا داخل حلقـه، كأن الحلم أحاله إلى أخـرس، ارتاح لهذا التفكير لكنه مع ذلك لم يسـتطع أن يبعد عينه المرتعبة عن هذا الذي يجلس أمامه، حتى نطق الذي أمامه أخيرًا: "هل يمكنك رؤيتي؟".

"مـــن أنت؟" ســـأله الرجل برعب لأنه عرف مـــن هو، وربما لأنه أراد أن يســـمع شـــيئًا آخر غير الذي يعلمه، فرغم أنه لم يقابل المـــوت مرة واحدة في حياته ليعرف شـــكله، لكنه بمجرد أن رأى هـــذا الذي يجلس أمامه، أدرك أنه الموت، تذكر تلك الحكايات التي كانوا يروونها له وهو طفل، من أن المســـيخ الدجال حين ينزل إلى الأرض ســـيكون مكتوبًـــا بين جبينه كلمة "كافـــر"، لكن لم يقل له أحد أبدًا ما الذي ســـوف يكون مكتوبًا فوق جبين الموت! والآن بعد كل هذه الســـنوات يكتشـــف أن الموت لا يحتاج إلى كلمات ليعرفه الأشخاص، هو موت فحسب، هكذا يمكن تعريفه ببساطة.

قال له الموت "أعلم من عينك أنك تعرفني، آسف لأني أزعجتك وسببت لك الرعب مبكرًا، سأذهب الآن وأعود لك فيما بعد، لكن أرجو أن تسامحني على إزعاجك أولًا". لم يعرف الرجل بما يجيبه، لكنه استبدل خوفه بابتسامة وهو يردد: "الموت يعتذر ويريد مني أن أقبل اعتذاره، أين ذهب الجميع؟ لماذا لا يوقظني أحد ويوقف هذا الهراء؟"، قاطعه الموت "يؤسفني أنك لا تحلم.. أنا هنا فعلًا.. أرجوك اقبل اعتذراي، فلا يمكنني المغادرة قبل ذلك".

زاد خـــوف الرجل بعد إدراكه أن الأمر ليس حلمًا، وكأنه كان ينتظر رأي المـــوت ليتأكد أنه حقيقي، لم يعـــرف ماذا يقول حتى تردد في ذهنه صوت الموت مرة أخرى: "لا يمكنني المغادرة قبل

ذلك". فسـأله "هل ستتركني حقًا إذا قبلت اعتذارك"، أجابه الموت بالإيجاب، فقال الرجل بعد تفكير "ولكن أقبل اعتذارك عن ماذا؟". "لأنني سـببت لك رعبًا قبل موعدك بكثير"، سـعد الرجل بكلمة كثير وتساءل "متى يحين موعدي إذن؟".. "أتريد أن تعرف حقًا؟" هز الرجل رأسـه بالإيجاب، فنظر الموت إلى الساعة المعلقة على الجدران "بعد سـاعتين ونصف من الآن، أي في الساعة العاشرة والنصف".

تمنى الرجل لو أن هذا الموت رجل ليلكمه على هذه السـماجة، بعـد أن منحه أمـلًا كاذبًا عن الوقت المتبقي لـه في عمره بكلمة "كثير"، التي أشعرته أن أمامه عدة سنوات أخرى يمكنه فيها رؤية طفلتـه التي لم يتجاوز عمرها خمس سـنوات متزوجة أو رؤيتها فـي الجامعة على الأقل، وربما كان بإمكانه كتابة عشـر روايات أو أكثـر من ذلـك، فحتمًا إذا عرف موعد موته لم يكن ليتكاسـل عن الكتابة يومًا واحدًا، لكن في النهاية ما تبقى له سـوى ساعتين ونصف فحسـب، كيف يمكن أن يرى طفلتـه تكبر خلالهما! وكم ورقة يمكن ملئها قبل أن يذهب؟! تخيل الموت لحظتها كمراقب في لجنة الامتحانات يمـر بجواره كل لحظة ليعلن قرب نهاية الوقت، وبمجرد أن يحين الأجل يسحب الورقة، لكنه فكر أن الورقة ليست هي التي سـيتم سحبها هذه المرة، لكن شـيئًا آخر، شيئًا بداخله إذا خرج لن يسـتطيع بعده أن يتحكم في نفسه أو يبدي اعتراضه على

أي شيء، حتى لو غسلوه بماء بارد في هذا الثلج، حتى لو وضعوه في صندوق وأنزلوه تحت الأرض، وأغلقوه عليه وتركوه وحده في هذا المكان المرعب، مع هياكل عظمية تنتظر قدوم شخص جديد، لتحكي له كيف اختفى جلدها ولحمها وصارت ما هي عليه الآن. شعر بضيق في التنفس حين تخيل هذا المشهد، وأحس بكره شديد للموت، تخيله قاتلًا، قاتلًا يعرفه الجميع، ورغم ذلك لم يستطع أحدٌ إيقافه أو الإمساك به.

فكر أنه لا يمتلك روحه في حضرة الموت، لكنه يمتلك شيئًا آخر فقال له: "لن أقبل اعتذارك" لم يكن يفهم أهمية قبوله اعتذار الموت، لكنه أدرك أنه أمر مهم وإلا لما كان الموت بجلالته يطلبه منه، هب الموت واقفًا فخاف الرجل أن يقبض روحه قبل أوانها، لكنه بقي في مكانه "أرجوك لا تفعل بي هذا، أنت لا تعرف شيئًا عن العذاب الذي سأتعرض له إذا لم تقبل اعتذاري"، أراد أن يضحك على شكل الموت المسرحي وهو يتذلل بتلك الطريقة، فكر أنه لو كان كتب مشهدًا كذلك داخل رواية لصنف الجميع روايته بالسريالية وبـ"الفنتازية"، دون أن يدري أحد أنه لم يفعل شيئًا سوى نقل الواقع فحسب. كتم ضحكته بداخله، حتى يحافظ على جديته، وزاد تمسكه بعدم قبول الاعتذار، بعد أن فكر أن بإمكانه أن يقايض الموت بما يريد مقابل عمر أكثر، صرح بتفكيره علانية بعد أن اكتفى من رؤية الموت على هذا الحال.

عاود الموت جلوســه في هدوء: "لا يمكنك أن تطلب مني شيئًا لا أملكــه"، "وكيف لا تملك أمرًا كهــذا؟ يمكنك أن تمنحني بعض الوقت حتى أدبر العديد من الأمور في حياتي"، قاطعه الموت "أنت لا تحتاج أن أقول لك عبارات ربما تكون سمعتها مئات المرات في حياتك، بأن موعد كل شــخص محددٌ سلفًا ولا يمكن تغييره، لكني سأسألك عن شــيء بدلًا من ذلك، هل يمكن أن تطلب أي شخصية ممن كتبتها في رواياتــك، أن تمنحها وقتًا إضافيًا إذا ما قررت أن تنهي وجودها افتراضيًا؟".

اقتنــع الرجل بحجة الموت خاصة بعد أن حدثه من منطق خلق الشــخصيات وموتها في الكتابة، لكنه رغم ذلك لم يرغب في قبول اعتذاره، فكر في أنه ليس هناك سبب منطقي ليتعاطف مع الموت، فمــا الذي يهمه إذا تعذب، فلعله بذلــك ينتقم لكثيرين رأوا أولادهم يرحلون فجأة دون ســابق مرض، وآخرين شهدوا وفاة من يحبون دون أن يســتطيعوا فعل شــيء، وغيرهم كثيريــن تمنوا لو يقتلوا الموت، فإذا لم يكن هذا ممكنًا، فكيف يضيع فرصة تعذيبه.

حاول أن يتخيل شــكل الموت وهو يتعــذب، لكن قطع أفكاره طرقٌ على باب حجرة مكتبه، فزع حين سمع صوت زوجته تناديه من الخارج، فرغم وضعه قواعد صارمة لعدم دخول أي شــخص حجرته أثناء الكتابة، إلا أنه خشــيَ أن تخطئ زوجته وتفتح الباب، فيراها الموت.

قـــام ناحية البـــاب بتوتر، أجابها من خلفـــه بأنه لا يرغب في طعام ولا شـــراب، تنفس الصعداء حين سمع صوت أقدامها تبتعد عن الحجرة، عاد إلى مكتبه مرة أخرى، لمح شـــيئًا يشبه الابتسام المعروف لدى البشـــر على وجه الموت "أتخـــاف عليها مني! لا تقلق.. أنا لا آخذ الأرواح بعشـــوائية وفقًا لرغبتي.. الأمر أكبر من ذلك بكثير، كما أنني جئت في مهمة محددة".

نظر الرجل تلقائيًا إلى الساعة حين ذكر الموت جملته الأخيرة، وقال له في غيظ: "ما زال أمام مهمتك ســـاعتان وربع، يمكنك أن ترحـــل الآن وتعود حينما يحين وقتـــي".. "أخبرتك أنه لا يمكنني الذهاب قبل أن تقبل اعتذراي". قال الرجل في غضب: "أنت موت مستفز جدًا.. تريد روحي واعتذاري وكل شيء، ثم ما الذي تعتذر عنـــه! قدومك مبكرًا؟! فلماذا لا تعتذر بدلًا من ذلك عن مجيئك من الأساس؟".

لـــم يبد على المـــوت أي تأثر بكلمات الرجـــل أو غضبه، قال في هدوء: "لن أعتذر عن قدومي لأن ذلك ليس بالشـــيء الخاطئ، لكن مجيئي مبكرًا يمثل جريمة في قوانينا، خاصة إذا رآني أحدهم وفزع دون أن يقبل اعتذاري، أرجوك أن تســـامحني، خاصة أني فعلت معك ما لم أفعله مع كثيرين، بعد أن أخبرتك بموعدك، وبهذا يمكنك أن تفعل أشياء كثيرة قبل أن ترحل...". قاطعه الرجل "أتظن بهذا أنك أســـديت لي خدمة؟ ربما لو أخبرتني منذ عشـــر سنوات،

لاعتبـــرت الأمر معروفًا منك، وربما اتخذت احتياطاتي حينها ولا أضيع وقتي، أما الآن فما فائدة أن أعرف الأمر قبلها بســاعتين"، قاطعه الموت "ســاعتان وربع". زفر الرجل في عصبية: "لا فرق بينهمــا"، قاطعه الموت مــرة ثانية "بالطبع هنــاك فرق، يمكنني وأقراني حصد آلاف الأرواح في أقل من نصف ساعة خلال حرب أو وباء".

امتعض الرجل من بشاعة جملة الموت، بعد أن تحدث عن الأرواح التي يحصدها باستهانة، وكأنها فشار يأكله مع أقرانه أثناء مشاهدتهم فيلمًا داخل السينما، ورغم ضيقه من الجملة إلا أنها نبهته إلى لا منطقية تعامله مع الموت وكأنه إنسان، فكر أنه موت في النهاية يحسب الوقت بشكل مختلف عما يحسبه البشر.

"ألا تفكر على الأقل في أن تمضي الوقت المتبقي مع أسرتك؟" أخرجــه الموت من أفكاره بتلك الجملة، وكأن أحدهم أشــعل النار أســفله، قام فجأة واتجه ناحية الباب مســرعًا، وكل ما يفكر به أن يســتغل الوقت الباقي من عمره مع أسرته، زوجته وطفلته ووالدته التي تعيش معه، لكنه وقف أمــام الباب دون حراك، بعد أن تخيل الصدمــة التي ســوف يكون عليهــا الجميع، حين يفــارق الحياة وسطهم.

شعر بقسوة أن يعرض والدته المسنة لتلك الصدمة، كما أحس ببشاعة أن تراه طفلته صامتًا فجأة وجدتها وأمها يصرخان ويبكيان حوله، حتمًا لن تستطيع أن تمحو تلك الذكرى من مخيلتها أبدًا، وسيكون الأمر بشعًا أيضًا على زوجته التي اعتادت أن تجلس في حضنه أمام التليفزيون، ماذا يمكن أن يحدث لها إذا كانت تضع رأسها فوق صدره، وانقطع صوت قلبه فجأة، حتمًا ستنتفض من مكانها مفزوعة وتظل تصرخ دون أن تجد من يساعدها أو يهدئها، فماذا تفعل والدته معها وابنها أمامها ميتٌ، وماذا تفعل طفلتها وهي لا تفهم أي شيء مما يدور حولها؟! جاءته كل تلك الأفكار، فتراجع عن تقدمه وعاد إلى مقعده بيأس وببطء، وهو يفكر أنه من الأفضل أن يبقى في مكتبه وتكتشف زوجته الأمر بعد أن تخلد طفلته وأمه إلى النوم، وحينها لن يكون أمامها سوى أن تطرق أبواب الجيران ليساعدوها على تحمل الصدمة، دون أن تحمل هم والدته وطفلته.

لمح على وجه الموت نفس شكل الابتسامة السابقة، استفزه ذلك جدًا، فأصر على عدم قبول اعتذاره، وظل صامتًا حتى علق الموت: "كنت واثقًا من أنك لن تفعل ذلك"، نظر إليه وقال في غضب: "ومن أين جاءت ثقتك! أنت موت ولا تستطيع أن تفعل شيئًا سوى حصد الأرواح، لا يمكنك أن تشعر بالآخرين أبدًا، أنت بشع.. بشع"، قاطعه الموت "بلى أشعر بك ولكن من الناحية التي أفهمها، هناك ساعتان باقيتان في عمرك كله، أعلم أنك تريد أن

تفعل بهما كل شـــيء ولا تستطيع، فمن ناحيتي ساعتان وقت كثير جـــدًا، ومن ناحيتك مجرد وقت يمكن أن تقضيه في طابور طويل، أو في الطريق أثناء انتقالك من مكان لآخر، لكنك سعيد الحظ لأنك تجلـــس على مكتبك الآن، لن يعطلـــك ازدحام مروري أو طابور، ويمكنك حقًا أن تفعل أشياء عظيمة خلال هذا الوقت".

قال الرجل في نفاد صبر: "حقًا وما هي الأشياء العظيمة، التي يمكن أن أفعلها خلال ساعتين، وأنا أجلس هنا، أن أنظف حجرة مكتبي؟!". "بل أن تكتب، ألست كاتبًا!"، ابتسم الرجل وقال بسخرية: "الموت الذي جاء ليأخذ مستقبلي الإبداعي.. ينصحني بالكتابة، أتظن أن الأمر بهذه السهولة، أنهي رواية في ساعتين مضى منهما خمس دقائق الآن". قاطعه الموت: "صدقني لا يزال أمامك وقت، ربما لا يصلح لكتابة رواية، ولكن يصلح لكتابة قصص، ما ستكتبه الآن سيصنع لك شهرة واسعة، تخيل الأمر فحسب، بعد أن ينتهي العزاء، ستبدأ زوجتك في دخول حجرتك، لاستعادة كل ذكرياتها معك، ستفتش بين أوراقك لترى آخر شيء قمت بكتابته، ستجد تلك الأوراق وتقرأها، ثم تفكر جديًا بتخليد ذكراك بنشرها، فترسل بها إلى دار نشر، وحينها تستغل دار النشر وفاتك في الدعاية لكتابك، سيقولون في دعايتهم إن هذا آخر ما كتبته قبل موتك مباشرة، ويقدم

الناس على الشراء، فهي فرصة لا تتكرر لمعرفة ما الذي يشعر به المرء قبل موته..".

فكر الرجل في كلام الموت ووجده منطقيًا لكنه قال في يأس: "لكني لست في حالة كتابة الآن". "بالطبع أنت كذلك، وإلا لما كان بإمكانك رؤيتي مبكرًا، فالأشخاص الذين في حالة صفاء ذهني، هم الوحيدون الذين يمكنهم رؤيتي قبل موعدهم، ولست الوحيد الذي رآني، فقد رآني كُتابٌ قبلك"، علق الرجل باندهاش "كُتاب"، هز الموت رأسه: "نعم أنا لا أذهب قبل موعدي إلا للكُتاب، فمن أجلك تركت الكثير من عملي لبعض زملائي". رفع الرجل حاجبه وسأله في اندهاش "هل أنت متخصص في حصد أرواح الكُتاب؟"، أجاب الموت: "لا، ليس هناك تخصص في عملنا، أي منا يمكنه حصد أي روح، فيمكنني في الصباح حصد روح متشرد، وفي المساء حصد روح رئيس جمهورية، لكن الأمر عندي أكبر من ذلك، فأنا أحب أن أكون متواجدًا في لحظة الكتابة، ولا يمكنني فعل ذلك في أيام الكُتاب العادية، فيستحيل زيارتهم قبل موعدهم بكثير، لكن بإمكاني أن أفعل ذلك قبل ساعات فحسب من عملي، وقليل منهم يستطيع رؤيتي، قبل ساعات من موته، ومن دون تباهٍ.. من تمكن من ذلك ذاع صيته جدًا بعد أن أخذته، لأنني ساعدتهم في كتابة قصص لا يستطيع بشر عاديون كتابتها، فكانت سببًا في شهرتهم بعد موتهم".

قاطعه الرجل: "ساعدت من على كتابة ماذا؟"، قال الموت في ثقة: "أنا أكتب القصص أيضًا، لكن للأسف لا يمكنني تدوينها مثلما تفعلون، لذلك أحب مراقبتكم وأنتم تكتبون، هذا من أعظم الأشياء التي تنعمون بها، كما أسعد كثيرًا حين يراني أي منكم ويستمع إليّ، ويكتب ما أقوله فيتحقق حلمي في الكتابة".

ابتسم الرجل غير مصدق نفسه، وتردد في ذهنه كل أسماء الكتاب العظماء الذين ذاع صيتهم بعد موتهم، وظل يتساءل عن أي القصص التي قرأها وكان كاتبها الأصلي الموت، لكنه حين وجه له السؤال مباشرة أجابه: "لا يمكنني الكشف عن أسمائهم حتى لا أفضحهم في الحياة الدنيا، يمكنك سؤالهم بنفسك حين تذهب إليهم في العالم الآخر".

نظر الرجل بتلقائية إلى الساعة، كانت التاسعة إلا ربع، فقال: "حسنًا ليس لدي أفكار، فما الذي يمكنني كتابته الآن؟". لمح على وجه الموت تلك الابتسامة الغريبة وهو يقول: "حسنًا اتفقنا إذن، ستقبل اعتذاري مقابل ما أقدمه لك الآن من قصص.. صدقني ما ستكتبه الآن سيساعد طفلتك وزوجتك أكثر من جلوسك معهما، لأنك ستؤمن لهما مبلغًا كبيرًا كلما اشترى أحدٌ كتابًا من كتبك..". قاطعه الرجل بعد أن شعر بأنه ليس هناك وقت للكلام "حسنًا،

أقبل اعتذارك، ماذا أكتب الآن؟"، قال له الموت: "تكتب عني ببساطة!". "وماذا أكتب عنك؟". "يمكنك كتابة مئة قصة على لساني لو استطعت.. فحينها سيزيد مبيعات كتابك أكثر، لأنهم سيقولون إنك شعرت بمجيئي، وستعبر كلماتك البلاد، فما من أحد في العالم، لا يريد التعرف عليَّ..". قاطعه الرجل مرة أخرى وهو ينظر إلى الساعة "حسنًا فلنبدأ"، لكن الموت قال له "هناك طلب أخير" قال الرجل في نفاد صبر "ماذا؟ ألم أقبل اعتذارك؟"، "أريدك أن تكتب لي إهداء لكي يكتمل حلمي، كل الكتاب الذين منحتهم قصصًا، كانوا يتلكأون ولا يكتبون إهداء لي حتى يحين موعدهم، ولا أعرف لماذا! هل يمكنك أن تبدأ الأمر بإهداء لي، لا أريد سوى بعض التقدير"، أمسك الرجل قلمه ودون بسرعة: "إلى الموت الذي ألهمني هذه القصص". قرأ جملته بصوت مرتفع ثم سأله إن كان بإمكانهما البدء الآن، فلمح تلك الابتسامة على وجه الموت وهو يجيب: "حسنًا فلنبدأ إذن".

# مج مبتور اليد

"هنا.. هنا" ظل "المج" يصرخ في السيدة بأن تنتبه حتى تضعه في مكانه الصحيح، لكن عينيها كانت منشغلة بمتابعة إحدى وصفات الطعام فأخطأت يدها، وبدلًا من أن تضعه في المطبقية، تركته يسقط، لم تنتبه إلى صرخاته إلا حين ارتطم بأرضية المطبخ.

شعر "المج" بوجع في جسده كله، لكن الألم كان أشد ناحية يده، رفعته السيدة من الأرض، ووضعته فوق رخامة المطبخ ثم غابت قليلًا في الأسفل وعادت بيده، ووضعتها بجواره، قبل أن تغادر المطبخ.

نظـــر إلى يده بحزن "من أجل وصفة طعام تكســـر لي يدي!".

صـــاح في غضب، ارتفعـــت الأصوات من المطبقيـــة معزية له: "لا تخـــف، من المؤكد أنها ذهبـــت لتحضر لك ما يعيد إليك يدك". "تماســـك حتى تعود إلينا". "تذكر تلك الأيـــام التي كنت تبيت فيها خارج المطبقية ليوم أو يومين، أوقات صعبة لكنها مضت، ســـتمر تلك اللحظات أيضًا".

صمتوا جميعًا حين دخلت السيدة ثانية إلى المطبخ، ومعها طفلتها الصغيرة، طلبت الطفلة من والدتها أن تشرب في هذا "المج"، صاح المج خوفًا من تلك الفتاة، التي صار يخشاها بعدما كسرت أمامه كثيرًا من الأشياء، كان يخاف حين تقترب منه ويصيح على أختها الكبرى بأن تحمله من أمامها، إلى مكان لا تصل يدها إليه، كان يخشى أن توافق والدتها وتمنحه لها، وينتهي به الحال إلى كسور مضاعفة لا يمكن إصلاحها، طمأنته إجابة والدتها "هو مكسور الآن"، انتظر أن تعيد إليه يده، لكنها أخذت كوبًا آخر كان يرتعش خوفًا من السقوط، ووضعت به عصيرًا من الثلاجة، ثم أغلقت التليفزيون في المطبخ وخرجت مع الفتاة.

ساد الصمت بعدما لم يجد أي من الأطباق والأكواب والملاعق مـــا يقوله، خاصة حين ارتفع صـــوت التلفزيون قادمًا من الصالة، وعرفوا جميعًا أنها لن تأتي لتصلح اليد المكسورة، "لو كانت هدير هنا، ما كانت تركتني هكذا!". قال الكوب بحزن.

"جميعهم يتركوننا بعد أن ننكســـر، كنا ســـتة والآن لم يتبق من

عائلتي عداي، كلما سقط أحدهم أمامي، أو في تلك الحجرات البعيدة، كانت تلك المرأة تهرع بمكنستها وتلمه بسرعة، لتلقيه بين أكوام الزبالة، وهي تصيح لا يقترب أحد بقدم حافية من هنا حتى لا يُجرح.. يصحبوننا معهم في كل مكان، وما إن نقع حتى يلقوا ببقايانا الممزقة إلى الشارع، لا أمان لهم أبدًا". قال الكوب الزجاجي.

صاحت الملعقة "لا تخيفه بمثل هذا الكلام.. لا تخف سترجع إليك يدك، وتعود لتجلس بيننا، أنت "مج" ولست كوبًا زجاجيًا، وطالما أنك لم تنكسر فلن يخشوا منك على أقدامهم". قال "المج" بثقة: "أعرف أنهم لن يتخلوا عني، حين ترجع هدير من الخارج، ستصرخ في والدتها لما فعلته بي، وتأخذني معها إلى حجرتها لتصلح يدي، وربما تخشى إعادتي إلى هنا، حتى لا تسقطني والدتها مرة أخرى". قال أحد الأطباق: "المهم أن تعود إليك يدك، حتى وإن مكثت في حجرة بعيدة، ولم ترجع إلى هنا".

رن جرس الباب، سعد الكوب حين سمع صوت "هدير"، استمع إلى الأحاديث التقليدية بينها وبين والدتها، وانتظر أن تعرف بما حدث له، سمع المرأة في نهاية حديثها تقول لها "نسيت أن أخبرك، وقع "مجك" من يدي وانكسرت يده، تركته على الرخامة، حتى تأتي وتقرري إن كنتِ ستحتفظين به أم ألقيه في الزبالة".

شهقت الفتاة وقالت: "هدية أحمد!"، وجرت ناحية المطبخ، فصاح الكوب متباهيًا "أخبرتكم أنها لن ترضى عما فعلته والدتها"،

أمسكت به في ضيق، وضعت يده بداخله، فشعر بالارتياح وقال لها "الصقيها الآن أرجوكِ" لكنها تركته وهي تصيح لوالدتها في الخارج "لم يعد يصلح، ألقي به إن شئتِ".

صاح الكوب الزجاجي بمجرد أن خرجت الفتاة "أخبرتكم ولم تصدقوني". قالت المعلقة "اصمت الآن" لكنها لم تزد بأي شيء تعريه به مثل المرة السابقة، نطق "المج" أخيرًا بعد صمت طويل: "لا أصدق أنها تركتني هكذا لقد كانت تحبني جدًا، لم تضايقني يومًا بمشروب ساخن في الصيف، أو بمشروب بارد في الشتاء، لكنها كانت تدفئني دومًا بمشروبات ساخنة في البرد، وتنعش صدري بقطع ثلج في الحر، كانت تمسكني بيديها الاثنتين وتقبلني وتبتسم، كلما هاتفها الشخص الذي أهداني لها، وأخبرها بأنه اختارني لأكون قريبًا من شفتيها بدلًا منه، كانت سعيدة بي، فلماذا تتركني الآن؟ ما حاجتها إلى يدي إذا كان بإمكانها أن تمسكني وتقبلني من دونها؟".

انطفأ التلفزيون في الخارج، سمعوا أصوات أقدام تقترب من المطبخ، "هل تلفينني الآن؟" صاح "المج" في خوف، لكن لم يرد أحدٌ عليه، حتى الكوب الزجاجي صمت، لم يرغب في مضايقته في آخر لحظاته بينهم، تساءل "المج" بيأس "كيف تبدو الحياة في الخارج؟". أمسكته السيدة فودع الجميع بحزن، لكنها لم تنزل به لأسفل حيث صندوق القمامة الذي يرقد تحت الحوض كما توقع،

بـــل فتحت صنبور المياه فوقه، ووضعته مرة أخرى على الرخامة وخرجت. صاح أحد الأكواب "السيدة تجربك مرة ثانية، أمسك المياه جيدًا بداخلك، لا تخرجها حتى تبقى معنا". صاحوا جميعًا "تماسك، يمكن الاحتفاظ بالمياه"، حاول أن يحتفظ بها، لكنه وجدها تغادر من جانبه الأسفل نقطة نقطة ببطء شديد، يأس من المحاولة وصاح في غضب "لم أعد أنفع في شيء، لماذا لا تلقي بي وتريحني؟".

حين عادت الســيدة، نظرت إلى نصف المج الفارغ من المياه، أمســكت به فعرف الجميــع أن نهايته قد جاءت، لــم يودعهم تلك المــرة، كان منتظرًا ســماع صوت ارتطامه بالأشــياء الملقاة في صندوق القمامة، لكن صوتًا آخر جاء "أريد ساندوتش جبنة". كانت الفتاة الصغيرة، لم يتوقــع أن ينقذه صوتها ويؤجل مصيره لبعض الوقت، تركته المــرأة على الرخامة مرة أخرى، وتفرغت لإطعام الصغيرة.

اتجهــت الطفلة ناحيته وهى تلوك طعامها وأمســكته وســألت والدتها إن كانت ســتصلحه أم لا؟ أجابتها والدتها بأنها كانت على وشــك أن تلقيه في صندوق القمامة، وناولته للطفلة كي تفعل ذلك، لكن الصغيرة ضغطت عليه بيدها وقالت لأمها "أريد أن أحتفظ به"، "ماذا ستفعلين به؟" "سأضع به أقلامي". "حسنًا، فكرة جيدة نستفيد منه بدلًا مــن رميه". ارتفعت هذه المرة الأصــواتُ من المطبقية مهنئة الـ"مج"، لكنه لم يكن سعيدًا "الآن أنا بدون يد، وقريبًا سأعود

لكم بدون أي شـــيء، فقط قطع صغيرة لا تصلح ســـوى لصندوق القمامة، أعرف هذه الفتاة جيدًا" قال المج في حزن.

شـــاركه الكوب الزجاجي الأسى "ربما حين تعود تجدني معك، ولا تكون وحدك بالخارج"، علقت الملعقة "لا تقولا ذلك، ســتبقى بيننا ولن تنكسر كما تعلن بين حين وآخر، وأنت حتى لو ذهبت مع تلك الطفلة فهذا أفضل من الشارع، ربما تحبك ولا تكسرك".

لم يســتطع الكوب أن يســمع باقي كلام الملعقة، ولم يســتطع توديعهم قبل أن يغادر المطبخ، وجد نفســه يمر في الصالة، ثم إلى حجرة لم يدخلها من قبل، وضعتــه الفتاة على مكتبها، وضعت به أقلامها كلها، ثم بدأت فــي تأمله، ظن أن هيأته الجديدة بالأقلام لا تعجبها، خاصة بعد أن ســحبت قلمًا، فكر أنها ستأخذ باقي الأقلام منــه، وتعيده إلــى المطبخ، لكنها لم تفعل ذلك، بل أمســكت بالقلم وفتحته وبــدأت تمر به على ورقة بيضــاء، وهي تتأمله من حين لآخر، وبعد أن انتهت رفعــت الورقة التي بيدها أمامه وهي تقول "هل تعجبك رســمتك؟"، نظر إلى الورقة وعرف نفســه وكان قد رأى انعكاســه كثيرًا في المرآة التي فــي حجرة "هدير"، ثم تذكر أنها تخلت عنــه، كاد أن يرجع لحزنه لولا كلمات الصغيرة "ربما لم اســتطع أن أصلح لك يدك، لكني رســمت لك يدًا أخرى". أحب "المج" تلك الفتاة لأول مرة، وأحب تلك الرسمة التي جعلته بيد كما كان، لكنه منذ تلك اللحظة لم يعد يتمنى أن يعيد له أحد يده، حتى لا يصلح لشيء سوى لأقلام هذه الفتاة.

# شروخ في حائط المنزل

"قنبلة.. قنبلة". اندهشتُ من بقاء الابتسامة على وجوه الناس أمامي، دون أن يركضوا أو يتحركوا على الأقل، رغم تكرار كلمة قنبلة من حولنا عشرات المرات، رغبت في الفرار، لكني لم أعلم من أين يأتي الصوت، حتى أتمكن من الركض في الاتجاه المعاكس له.

استيقظت أخيرًا على صوت والدتي، وهي تهزني وتخبرني صارخة بأن قنبلة انفجرت أسفل منزلنا، أدركت من وجهها المفزوع أني استيقظت، حسدتُ المبتسمين هناك، الذين حافظوا

على هدوئهم، وهم موقنون أنه لن يحدث لهم شـــيء داخل رأسي.. في الحلم.

في الأسفل، كان الناس متجمعين على شكل دائرة، ومن فتحات أرجلهم يندفـــع الدم خارج الدائرة، اقتربنـــا أكثر، كان هناك طفل صغير يرقـــد على الأرض، وفوقه امرأة تصرخ "ليســـت دماءه، لكنها الطماطم التي أرســـلته لشـــرائها". حاول الناس إبعادها لكنها كانت تصرخ بهم "لن أتركه"، ثم تكرر الجملة مرة أخرى "ليســـت دماءه، لكنها الطماطم التي أرسلته لشرائها".

مالـــت والدتي على جارتنا الواقفة بجوارها وقالت لها بأســـى: "الحمد لله، كنت سأرســـله منذ قليل ليشـــتري لي خضارًا للسلطة، ولولا أنه انشـــغل بهاتفه، لكان...، الحمـــد لله"، نظرت إلى أخي، حاولت أن أبعد تلك الصورة التي جاءتني، لكني لم أستطع، تخيلته طبق سلطة مضمخًا بالدماء.

ربت الضابط على المرأة، لم يســـتطع رفع عينه في عينها حين نظرت له، قال لها بوجه شـــاحب "حقه لـــن يضيع"، أجابته وهي تصرخ "حســـبي الله ونعم الوكيل"، كان يعرف أن ســـنوات طفلها السبع كانت بديلًا لعمره، وكانت تدرك أنه يعرف ذلك.

نظرت إلى الضابط، وتساءلت كم عدد الضباط في حينا، قنبلة..

قنبلتان.. ثلاثة.. ربما أكثر من عشر قنابل يمكن أن تنفجر، فكرت أن علينا الانتقال لحي لا يسكنه أي ضباط.

"أولاد الكلب.. أولاد القحبة..". نطق الفتى الذي كان بجواري، حسدته على جرأته على لفظ كل هذا السباب أمام والدته رغم أنه لم يتعد التسع سنوات، تمنيت لو أكون مكانه، لكنني لم أتعلم كل السباب الذي يصلح لموقف كهذا، حين كنا نبكي لوالدنا أنا وأخي ونحن صغار، حتى يتركنا نلعب مع الأطفال في الشارع، كانت والدتي تتدخل وتمنعنا، أسمعها تقول له: "الشارع يعلّم كل الأشياء السيئة.. البيت يحميهم من قذارة الشارع.. البيت أمان".

"مات.. مات" صرخ والد الطفل وهو يبكي، آمرًا والدته أن تقوم من فوقه، فنظرت إلى أمي نظرة عتاب لأنها لم تتركني للشارع وأنا صغيرة، فكيف أعلق الآن على شيء مثل هذا، سوى بتلك الأشياء السيئة التي جنبتنا تعلمها!

اقتربت المذيعة منا، حاولت أن تسأل والدتي لكنها رفضت الظهور في التلفزيون، وافقت جارتنا وبدأت تروي كيف كانت تطبخ الغداء حين سمعت صوت انفجار هائل، وكاد زيت القلي أن ينقلب فوقها "نحن ضد الإرهاب، والجيش والشعب والشرطة يد واحدة"، بعد أن أنهت جارتنا حديثها للمذيعة، مالت على أمي قائلة "المهم أن يعملوا بجد حتى لا تتكرر تلك المصائب"، قالت

والدتي "ربنا يستر"، وهي تنظر حولها في خوف لم أره في عينها من قبل.

حين بدأت الدماء تسيل في تلك الأيام، كانت شاشة التليفزيون تحجبها خلفها، فلا تغادر التليفزيون لتلمسنا، ولا نذهب إليها لنلمسها، فقط تدير والدتي وجهها وتطلب منا أن نغير القناة، دائمًا ما كانت تأمرنا أن نغير القناة، ولم ترض أبدًا أن نغير ثيابنا لنذهب هناك "هل جننتم، أتريدونني أن أموت حسرة عليكم"، "الناس يتساقطون لأننا لسنا بجوارهم".. "لا يهمني الناس، أنتما من تهمانني بعد موت والدكما، أموت إذا حدث لكِ مكروه أنت أو أخوكِ"، "أي شيء يمكن أن يحدث لنا في أي مكان، حتى في المنزل"، "لا.. لا يمكن أن يحدث شيء هنا، البيت أمان"، تقولها والدتي بنفاد صبر، فلا يتفوه أي منا بكلمة بعد تلك الجملة.

ظلت الدماء على الأرض حتى بعد أن جاءت سيارة الإسعاف وحملت الطفل، تفرق الجمع وبدأت الأرض تتشربها على مهل، تأملت الأرض وهي تتحول ببطء إلى مصاص دماء، ما إن يشرب قطرة حتى يطلب المزيد، وتساءلت متى ستكف.

كانت والدتي واجمة ونحن نصعد سلالم بيتنا، وظلت على تلك الحال بعد أن دخلنا شقتنا، ثم ذهبت لتعد الطعام، وبعد دقائق جلسنا

لنأكل السمك في صمت، تناول أخي الطعام بهدوء من دون سلطة، لم يعترض كعادته حين ينقص شيء من الطاولة.

بعد انتهائنا، ذهبت لأغسل الصحون، لمحت من نافذة المنور، شروخًا في حائط البيت، لم أرها قبل تلك اللحظة، ناديت والدتي على الفور، تأملت الشروخ دون أن تعلق، قلت لها "القنبلة هي السبب، لم تكن تلك الشروخ موجودة قبلها"، أغلقت النافذة وهي تطلب مني ألا أفتحها مرة أخرى "الشروخ تجلب الفئران للسكن فيها، لا نريد أن يدخل فئران إلينا" قالت.

لم تفتح والدتي تلك النافذة بعد ذلك ثانية، ومن وقتها وأنا أشعر برعب شديد، لم يكن سببه الفئران التي لدي فوبيا منها، لكني صرت خائفة لأن والدتي لم تعد تقول لنا أن البيت أمان بعدها أبدًا.

# نشرة أخبار

بعـــد أن انتهيت من ارتداء ثيابي، خرجـــت إلى الصالة، كانت والدتي تجلس أمام التلفزيون، لتســتمع إلى نشرة الأخبار، نظرت إلى ثيابي على غير عادتها، وطلبت مني للمرة الأولى أن أغير تلك "البلوزة" الضيقة، أو أن أرتدي فوقها سترة واسعة، وهي تشير إلى نشـــرة الأخبار وتخبرني بظهور جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورغم تشاجرنا إلا أنني رضخت لطلبها في النهاية.

اعتدت على ارتداء ســـترة واســـعة منذ تلـــك المرة، وكنت في بعض الأحيان أنســـاها فتعلق والدتي على الأمر بمجرد أن تراني، لكنـــي في ذلك اليوم نســـيت ارتداءها ونزلت مـــن دونها دون أن

تلحظ ذلك، فقد كانت تتشـــاجر مع أخي ليحلق لحيته قبل أن يغادر الشقة، وتستشهد بأنها سمعت في نشرة الأخبار أنهم يقبضون على الملتحين هذه الأيام.

# خيوط صغيرة

حين بدأت المرأة في فك خيوط البلوفر، صرخ طالبًا منها أن تتوقف "عشتِ معكِ سنوات طويلة، أرجوكِ لا تتخلي عني". لم تستمع إليه.. بدأت بأكمام اليد اليمنى، فقال لعلها تتراجع: "حين سلم عليكِ تلك المرة، لمس أطراف يدي، كيف تفككين الذكرى الأولى"، تعدت المرأة الذكرى أسرع مما توقع، فقال لها مضطرًا: "حسنًا والدتك جلست يوما بأكمله تصنع يدي، كيف تبددين تعبها!"، سقطت دمعة من عين المرأة فوق صدره، أحس بأمل وظن أنها تسمعه، فأكمل غير عابيء بالوجع: "اتركيني حتى تشعري بيدها

تربت عليك، كلما ارتديتني"، مسحت المرأة دموعها دون أن تتوقف عن فك باقي الكم.

بعد أن صار البلوفر بصدر وكم واحد، تركته المرأة على المقعد، وقامت لتحضر شيئًا، تألم لرؤية خيوطه تجلس بجواره في خطوط متعرجة: "كل خيط يخرج مني ينحرف طريقه".

عادت المرأة بعد أن جلبت معها ورقة صغيرة، لفت الخيوط المفكوكة حولها، انزعج البلوفر من أن تهبط به إلى تلك المنزلة "بعد كل هذه السنوات.. أغطي ورقة بعد أن كنت أغطي جسدًا!".

تكونت كرة صغيرة من الصوف حول الورقة، بدأت تكبر تدريجيًا كلما جذبت المرأة خيطًا من صدر البلوفر، وكلما خفتت الصرخات القادمة من الصدر، كانت الكرة تكبر وتغطي بصوت أحلامها على صوت ما بقى من البلوفر: "أخيرًا سأخرج منك ومن هدوئك، لأقفز بحرية بين أيدي الأطفال، سأصير كرة مختلفة عن باقي الكرات، كرة تدفئ من يلعب بها، ولا تسبب ألمًا إذا صدمت أحدًا، ينقصني هذا الخيط القادم من الكتف فحسب.. حسنًا صرت مكتملة الآن".

قامت المرأة مرة أخرى تاركة الكرة على الطاولة، فبدأت تتساءل "من هنا ليلعب بي؟"، سمعت صوت بكاء رضيع، وتساءلت مرة أخرى: "أين باقي الأطفال الكبار، الذين يمكنهم قذفي؟"، جاءت

المرأة بكوب شاي في يد وبابرة طويلة في اليد الأخرى، صرخت الكرة "لا يمكن أن ينتهي أمري، قبل أن أقفز ولو عدة قفزات على الأقل".

بدأت المرأة في صناعة غرز صغيرة من الكرة، لم تستطع قول شيء في البداية، كانت صرخات الكرة وتوسلاتها هو الصوت الوحيد الواضح: "عشر قفزات.. ثمانية إذن.. حسنًا أقبل ستة.. خمسة...". مضت عدة ساعات قبل أن تصنع المرأة بولوفرًا صغيرًا ينقصه الكم، خفت صوت الكرة دون أن تستطيع أن تعبر عن أمنيتها الأخيرة بقفزة واحدة فحسب.

بدأ صوت البلوفر في الارتفاع بهدوء: "توقف عن البكاء أيها الصغير، تنقصني خيوط صغيرة فحسب لأكتمل وأدفئك بداخلي.. حسنًا أنا قادم حالًا".

# الموت في الخارج فقط!

ما الذي يمكنني فعله بينما تقسع انفجارات فى الخارج! يمكنني قضم تفاحة وأنا أمر في صالة منزلنا أمام شاشة التلفزيون وأتباطيء فى مضغها قليلًا مراعاة لحُرمة الدم وفي عيني كثيرٌ من التأثر.

يمكنني الهروب من مشاهد القتل إلى شاشة "اللاب توب" للبحث عن صديق أتحدث معه غير مشغول بالمعارك الدائرة حول المتسبب في قتل الناس! لكن يبدو أن جميعهم مشغولون الآن، يمكنني البحث في قائمة الهاتف لأتصل بأي منهم، لكنني لا أعرف بمن أتصل حقًا، فهم أنفسهم الجالسون على "النت"، معي دقائق مجانية، وليس هناك من أهاتفه، يبدو أنها نهاية العالم!

لو كان لديّ حبيب لكنتُ هاتفتُه لأبكي وحين يسألني عن السبب، سأجد الكثير من الأسباب. سأخبره أنني متضايقة منه لأنه لم يعد يحبني كما كان يفعل سابقًا، سيقسم لي أنه يحبني أكثر من أي وقت مضى، لكنني لن أصدقه، سنتشاجر لتولد أسبابٌ أخرى للبكاء ليس من بينها ما يحدث في الخارج، فكم أشتاق إلى تلك الأيام التي كانت أشياء أخرى تبكيني غير الموت! لكن ليس لديّ حبيب.

يمكنني الوقوف قليلًا لمشاهدة الناس عبر النافذة، لا يوجد كثيرٌ وكأنها مدينة للأشباح والخوف، حسنًا سأتأمل السماء، السُحب شديدة البياض، حتمًا لم تصعد أرواح الموتى بعد لتصبغها بالأحمر.

ما زال اليوم طويلًا ولا أعرف كيف أنهيه! يمكنني تحقيق رغبة والدتي في دخول المطبخ، قالت لي كثيرًا إنه لا يوجد شيءٌ في العالم أسهل من الطهي، سأفسدُ الطعام وأكتشف أن تفجير الناس في الخارج أسهل بكثير من الطهي.

وجدتُها، يمكنني صناعة قنبلة، سيكون الأمر مسليًا حتمًا، وإلا فلماذا يصنعون هذا الكم من القنابل، وجدتُها ثانية، نوبل لم يقم باختراعه لحفر المناجم، كان يشعر بالملل مثلي في يوم ولم يجد شيئًا ليفعله فاخترع الديناميت، ووجد منجمًا يفجّره بها فبرر الأمر هكذا، لم يستطع أن يعترف بأنه كان يشعر بالملل، لن أخبر الناس

بهذا الأمر ليس لأنهم لن يصدقوني، لكنني لن أفضح الرجل فى قبره.

أنا أيضًا سأصنع القنابل وسأضع كل الكرات الزجاجية الصغيرة التي اخترعوها في العالم في حجرة واحدة وأفجرها، حينئذ لن يتمكن أطفال الجيران فوقنا من صناعة ثقب في رأسي بأصوات "بليهم" كل ليلة، وسيحتفل بي الناس لأنني خلّصتهم من تلك المشكلة الكبيرة، وسيظنون أنني فعلت ذلك من أجل "البلي" ولن يخطر ببالهم الملل أبدًا، لكن ماذا لو صنعتُ قنبلة وانفجرت في رأسي؟ سيكون الأمر سيئًا، ستنفتح رأسي وتتحول الأفكار العظيمة التي يمكنني تغيير العالم بها إلى أشلاء ودماء، هذه فكرة بشعة جدًا، فالأسهل من ذلك أن أصعد درجات عدة من السُلّم وألعب مع أطفال الجيران.

الجلوس فى المنزل بينما التفجيرات تحدث فى الخارج مفيد بعض الشيء، فعلى الأقل عرفتُ إجابة سؤال كان يحيرني كثيرًا، لماذا أفضّل الذهاب خارجًا أيام العطلات على البقاء فى المنزل؟ حسنًا سأرتب دولاب ملابسي، ما كل تلك الفوضى! ارتفاع عدد الضحايا إلى 50 قتيلًا و200 مصاب، من سيرتب تلك الفوضى؟

ربما يمكنني الاستماع إلى بعض الأغاني الرومانسية لأستدعي الحب من دون أن أخبر أحدًا أنه لم يعد ترفًا، فيبدو أننا سنحتاج

إلى ملاقاة حب عظيم يساعدنا على الإنجاب كالأرانب وتعويض ما خسرناه من موتى.

يمكنني صنع مشروب ساخن ومشاهدة فيلم أجنبي به قتلى آخرون حتى أشعر أن الموت عالمي وليس نحسًا خاصًا بوطننا، حينئذ يمكنني انتظار الصور التي ستضعها صديقتي لخطبتها على "فيس بوك"، والتي لم أتمكن من حضورها لأن والديّ يظنان أن الموت في الخارج فقط. حسنًا يمكنني فعل شيء أعظم من كل هذا، يمكنني تجربة الموت بإغماض عيني قليلًا ولعن الجميع في أحلامي.

# المؤلفة في سطور

## نهلة كرم

- تخرجت من كلية الإعلام جامعة القاهرة عام 2010.

- صدر لها المجموعة القصصية "أن تكون معلقًا في الهواء"، والتي وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة ساويرس لعام 2013.

- كانت قصتها "حكاية من الصفوف الخلفية" من بين القصص الفائزة بورشة جوته، والتي أهلتها للفوز برحلة سفر لحضور معرض فرانكفورت للكتاب عام 2014.

- سافرت إلى ميونيخ لحضور إحدى المهرجانات الأدبية لقراءة نفس قصتها الفائزة "حكاية من الصفوف الخلفية" خلال المهرجان.

- صدر لها رواية "على فرش فرويد"، والتي وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة ساويرس لعام 2015.

كل ليلة قبل النوم أتعمد أسقل النجوم التي لصقتها في سقف حجرتي، أتأملها طويلاً حتى تلقي لي بحبال أتسلقها إلى أحلامي، ذات يوم قابلت في الأعلى ثلاثة آلهة في شوارع مختلفة من الحلم، سألوني جميعًا عن الأمنية التي أريدها، لكني لم أصدق أنهم سيحققونها. فطلبت منهم نفس الأمنية، لربما يحققها أحدهم، لكني فوجئت في اليوم التالي حين رفعتني النجوم، أن الثلاثة نفذوا رغبتي وصار لي ثلاثة أحبة، قابلني أحدهم داخل بيت جدتي في شبرا، ثم قابلني الآخر في فرانكفورت قبل أن يعود بي الثالث إلى أحد المطاعم في الهندسين. خشيت أن يتقاتل الثلاثة في مكان واحد ويفتضح أمري، فرفضت الصعود مع النجوم عدة أيام، حتى رسم الليل خطوطًا أسفل عيني، ونزل مندوب من الأعلى يحذرني إن لم أصعد إليهم سينزلون لي، تخيلت هذا الذي يحب الأكل بنهم، وخشيت ألا يتحمل سقف الغرفة وزنه، صعدت معه لكني ظللت مختبئة في مدخل أحد البيوت، عبرت امرأة وأخبرتني أنه لا يمكنني الوقوف هكذا بدون فعل شيء في الأحلام، لأنه لا توجد لديهم عطلات هناك، سرت قليلا ولم أعثر على أحد، فكرت أن أبحث عن الآلهة وألغي رغبتين وأبقي على حبيب واحد، لكني حين سألت عنهم، عرفت أنهم غادروا الأحلام وأخذوا معهم الأمنيات كلها.

العين
Elain Publishing House
9 789774 904066

نهلة كرم

الموت يريد أن أقبل اعتذاره

رسم وتصميم الغلاف: غادة خليفة